

هذه رسالة مباركة للمساءة

كرامات الطادقين

ولمن يأت برسالة مثلها فله إنعام ألف من الورق،
غير مقلدٍ كان أو من المقلدين

بقلم:

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني
الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

اسم الكتاب: كرامات الصادقين

الطبعة الحديثة: ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

Karāmāt-uṣ-Ṣadiqīn

By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace and blessings of Allah be upon him), ***the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā‘at***

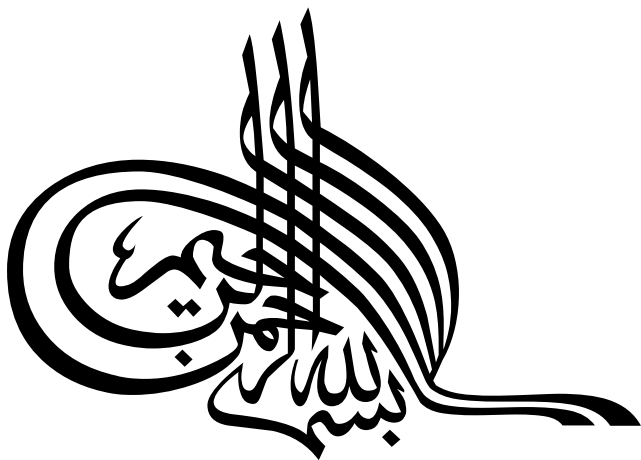
© Al-Shirkatul Islamiyyah

First Published in UK in 2007

By: Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Islamabad

ISBN: 185372 875 6



هدية من وزارة المعارف
للمدارس والكتبات العامة

كلام الصادق

وليس يأتي برسالة مثلهما فلهذا انعام

التي من الورق غير مقادير

كانت من القنادير

وتتمها

بمطبعة دار المعارف

قد تبيننا في هذا الكتاب على ما هو عليه

من كلام الصادق عليه السلام في الحديث

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

فهرس

أ	كلمة الناشر
١	التنبه
٣	رسالة
٨	القصيدة الأولى في نعت الرسول ﷺ
١١	القصيدة الثانية
٢٨	القصيدة الثالثة المباركة الطيبة في نعت رسول الله ﷺ
٣٥	القصيدة الرابعة
٤٤	تفسير سورة الفاتحة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
٤٥	﴿الحمد لله﴾
٥٠	﴿رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين﴾
٥٠	القسم الأول من الصفات الفيضانية
٥١	القسم الثاني من الصفات الفيضانية
٥٣	القسم الثالث من الصفات الفيضانية
٥٧	القسم الرابع من الصفات الفيضانية
٦٢	﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
	﴿اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم
٦٥	غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾

- ١٠٠ إتمام الحجّة على المكفرين من العلماء والمشائخ كلهم أجمعين
- ١٠٥ رسالة لسيدنا نور الدين رحمته الله
- ١٠٨ قصيدة لسيدنا نور الدين رحمته الله
- ١١٠ قصائد وتقريظات ورؤيا للسيد محمد سعيد الشامي

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

لقد نشر المولوي محمد حسين البطالوي في مجلته "إشاعة السنة"، الصادرة في كانون الثاني عام ١٨٩٣م، المجلد ١٥، مقالا عاب فيها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بعدم معرفته باللغة العربية، فردّ عليه حضرته عليه السلام بتاريخ ٣٠ آذار/مارس ١٨٩٣م، ومما قال في جوابه:

"الشيخ محمد حسين مصرّ بشدة على أن هذا العبد المتواضع غير مُلمّ باللغة العربية على الإطلاق بل يجهلها جهلا تاما، وكذلك لا يعرف من علوم القرآن ومعارفه شيئا إطلاقا، ولا يستحق نصره الله تعالى وتأبيده لأنه كذاب ودجال، ومع ذلك يدعي بطول باعه في العلم والفضل."

فبغية التمييز بين الصادق والكاذب من بين الفريقين اقترح عليه السلام في إعلانه أن تُنتخب سورة من سور القرآن الكريم بالقرعة ثم يجلس الفريقان في مجلس ويكتبا تفسيرها بكلام مسجع ومقفى في اللغة العربية الفصيحة. ويجب أن يبين الفريقان في هذا التفسير العلوم والمعارف القرآنية التي لا توجد في كتب أخرى. ثم لتتبع التفسير قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وآله تحتوي على مئة بيت بلغة عربية فصيحة وبلغية كذلك. كما اقترح حضرته أن تُعطى الفريقان مهلة أربعين يوماً لهذا العمل قبل أن يقرأ في جلسة عامة التفسير والقصيدة. فإذا غلبني الشيخ محمد حسين أو تعادل معي من حيث اللغة أو بيان معارف القرآن الكريم سوف أقر

بخطئي على الفور وأحرق جميع كتبي. ولكن لو كانت الغلبة لي لوجب على الشيخ أن يعلن في المجلس نفسه توبته وتراجعته عن موقفه السابق. وقال حضرته عليه السلام أيضا بأنه يكون للشيخ محمد حسين الخيار أن يستعين في ذلك بمن يشاء من المشايخ المتكبرين من أشياعه. وإن لم يقبل هذه الدعوة في أثناء أسبوعين بدءا من أول نيسان/أبريل من السنة الجارية لاعتُبر ذلك هروبه من المبارزة. ولكن الشيخ المذكور ظل يماطل ويقدم شروطا واهية ويختلق أعذارا سخيفة حتى علم أولو الألباب من الذين كانوا يراقبون سير الأحداث أنه يريد التسلل من الميدان. على أية حال لم يبرز في الميدان أحد، لا محمد حسين ولا غيره من المشايخ المتغترسين. عندها أراد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أن يُعرض عن هرائهم وهذيانهم في المستقبل، ولكنه رأى من المناسب أن يؤلف كتابا بغية إتمام الحجة للمرة الأخيرة على الشيخ محمد حسين وأشيعه الذين يدعون ببراعتهم ومهارتهم في الأدب وبيان معارف كتاب الله العزيز، ولكي يميظ اللثام عن مدى معرفتهم باللغة العربية وعلوم القرآن الكريم، فألف هذا الكتاب القيم باسم "كرامات الصادقين".

يحتوي هذا الكتاب على تحفة نادرة لتفسير سورة الفاتحة بلغة عربية فصيحة، وأربع قصائد نظمها حضرته عليه السلام في غضون أسبوع فحسب وذلك أثناء إقامته المؤقتة في مدينة أمرتسار بُعيد تفرغه من المناظرة مع القسيس عبد الله آتهم، غير أنه أعطى لمحمد حسين ومن معه مهلة شهر كامل بغية إتمام الحجة عليهم.

فلم يقدر أحد من المعارضين أن ينسب ببنت شفة إزاء تحديه عليه السلام لكتابة التفسير وبيان معارف القرآن الكريم. فقال عليه السلام في هذا الصدد ما تعريه:

"يمكننا أن نتنبأ بناء على فراستنا الإيمانية أن الشيخ (محمد حسين البطالوي) لن يقبل المبارزة بهذه الطريقة، وسوف يماطل كما سبقت عادته.... ولكن هناك طريق سهل للشيخ وهو أنه ليس المخاطب الوحيد في الكتاب بل جميع المشايخ الذين يكفرونني ويعتبرون هذا العبد المتواضع الذي يتبع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم خارجاً عن دائرة الإسلام. لذا فلا بد من أن يذهب الشيخ إليهم بكل أدب ويتوسل إليهم ويطرح نفسه على أقدامهم باكياً (ليساعده)..... ولكن المشكلة هي أنني قد تلقيت عنه وحياً يقول: "إني مهينٌ من أراد إهانتك"، لذا فإن جهوده كلها سوف تذهب أدراج الرياح. ولو هبَّ أحدٌ من المشايخ بنية فاسدة لمساعدته لطُرح على الأرض على وجهه. إن الله تعالى سوف يمزق كبر هؤلاء المشايخ المستكبرين، ويريهم كيف ينصر عباده المستضعفين."

فما كان للشيخ محمد حسين ولا لغيره من المكفرين أن يكتبوا شيئاً مقابل هذا الكتاب ويثبتوا براعتهم في اللغة أو معرفتهم بعلوم القرآن الكريم، وهكذا صادقوا على كذبهم وصدقته عليه السلام إلى الأبد.

ولا بد من الإشارة إلى أن الطبعة الأولى قد احتوت على بعض التعليقات والقصائد كتبها تقریظاً على الكتاب ومدحاً لحضرة المؤلف عليه السلام كل من حضرة المولوي الحكيم نور الدين البهيري والسيد محمد سعيد الشامي الطرابلسي رضي الله عنهما. وكان الكتاب ينتهي بفصل

صغير من حضرة المؤلف. لكننا بأمر من حضرة أمير المؤمنين - نصره الله - وضعنا الفصل الأخير لحضرة المؤلف مع كلامه المتسلسل ووضعنا هذه التعليقات والقصائد في نهاية الكتاب.

ثمة أمور لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام، والمحفوظة حاليًا في مكتبة "الخلافة" المكتبة المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكتب - عمومًا - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنة العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد ميّزت عن الهوامش الأصلية بالخط المائل.

٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل بل أضيفت من قبل الناشر في الهامش. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقاً

من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: إضافة الموصوف إلى الصفة، كقوله ﷺ:

"وهي أن آدم قد خلقت في يوم السادس، وأنعم عليه ونُفخ فيه روح الحياة في الجمعة بعد العصر." (ص ٦٦)

ومثاله في القرآن الكريم: ﴿حب الحصيد﴾ (ق: ١٠)

وفي الحديث الشريف:

حدثنا محمد قال: أخبرنا عبدة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة، عن عائشة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل في حجرته، وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص النبي ﷺ، فقام أناس يصلون بصلاته، فأصبحوا فتحدثوا بذلك، فقام ليلة الثانية، فقام معه أناس يصلون بصلاته، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً، حتى إذا كان بعد ذلك، جلس رسول الله ﷺ فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال: "إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل."

(فقام ليلة الثانية) أي الليلة الثانية، من باب إضافة الموصوف إلى

صفته.

(صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سترة. ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظه وحمله ووضع فهارسه الدكتور مصطفى ديب البغا)

وهذا الأسلوب شائع مثل قولهم: مسجد الجامع، دار الآخرة وغير

ذلك.

ثانياً: صرف ما لا ينصرف، كقوله ﷺ:

"ولن تجد محامدا لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي." (ص ٤٧)

ورد في مغني اللبيب:

"قرئ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بالتنوين: إما على أنه مصدر كَلَّ إذا أعيأ، أي كَلَّوا في دعواهم وانقطعوا، أو من الكَلَّ وهو الثقل أي حملوا كَلًّا، وجوز الزمخشري كونه حرف الردع وَتَوَّنَ كما في ﴿سَلَسَلًا﴾. وردّه أبو حيان بأن ذلك إنما صحَّ في ﴿سَلَسَلًا﴾ لأنه اسم أصله التنوين فرُجِعَ به إلى أصله للتناسب، أو على لغة من يصرف ما لا ينصرف مطلقاً أو بشرط كونه مفاعل أو مفاعيل.

وليس التوجيه منحصرًا عند الزمخشري في ذلك، بل جوز كون التنوين بدلاً من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية، ثم إنه وصل بنية الوقف، وجزم بهذا الوجه في ﴿قوارير﴾ وفي قراءة بعضهم ﴿والليل إذا يسر﴾ بالتنوين، وهذه القراءة مُصَحَّحَةٌ لتأويله في "كلا"؛ إذ الفعل ليس أصله التنوين.

(مغني اللبيب الجزء الأول ص ٢١٤ المكتبة العصرية بيروت طبعة ١٩٩١ حرف الكاف تحت كلمة "كلا")

ثالثاً: تركُّ ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وهو كثير كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

"...إشارة أخرى، وهو أن الله تعالى خلق الآخرين مشاكليين بالأولين." (ص ٧١)

"فالحق أن الفاتحة أحاطت كل علم ومعرفة، واشتملت على كل دقيقة حقٍّ وحكمة، وهي تجيب كل سائل، وتذيب كل عدو

صائل، ويطعم كلَّ نزيلٍ إلى التضييف مائلٍ، ويستقي الواردين والصادرين. ولا شكَّ أنهما تزيل كلَّ شكَّ خيِّب، وتجيح كلَّ همَّ شَيِّب، وتعيد كلَّ هُدُوٍّ تَعَيَّب، وتُخجَل كلَّ خصيمٍ نَيَّب، ويبشر الطالبين. ولا معالج كمثلُه لسمِّ الذنوب وزيعِ القلوب، وهو الموصل إلى الحق واليقين. " (ص ٩٦)

ومثال ذلك في القرآن الكريم:

﴿أولمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٦)

وفي الحديث الشريف:

"..... وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ. حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُدَامٍ. فَلَعَبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ. ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَيَّ جَزِيرَةً فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَعَرَبِ الشَّمْسِ. فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ. فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ. فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ. لَا يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبْرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ."

(صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمٍ ظاهرٍ اللفظ وحمله على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص... وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿السَّمَاءُ مَنْفَطَرٌ بِهِ﴾،

فذكر السماء وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف، وكلُّ ما علاك وأظلك فهو سماء".

(فقه اللغة للتعاليبي، القسم الثاني فصل في حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلم أن هذا النوع غورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصح الكلام منشوراً أو منظوماً، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجمع، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله تعالى ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجرم).... وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته
سائل بني أسدٍ ما هذه الصوتُ
أنت على معنى الاستغاثة ...

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوبٌ، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة"

(الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، حرف الحاء: الحمل على المعنى، ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٤ الطبعة الأولى ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت)

رابعاً: ورود المعدود على عكس ما هو مألوف كقوله الليل:

"إذا بشرني ربي بعد دعوتي بموته إلى خمسة عشر أشهر من يوم خاتمة البحث." (ص ١٠٣)

والشاهد على هذا في القرآن الكريم:

﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ (الأعراف: ١٦١)

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذة الأفاضل: مصطفى ثابت، هاني طاهر، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، فهيم أحمد خالد، محمد يوسف شاهد، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

نبتهل إلى الله - جل شأنه - أن يجعل هذا السُّفر المبارك سبباً لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

الناسر

التنبية

أيها المكفِّرون الذين أصرُّوا على تكذبي، وهُمِّوا بتمزيق جلايبي، اعلموا.. هداكم الله.. أن هذه الرسالة معيارٌ لتنقيد أمري وأمركم، فإن كنتم لا تتناهون عن سبِّكم، ولا تخافون قهر ربِّكم، وتظنون أنكم أعلام الشريعة، وأشياخ الطريقة، وعلماء الملة، وفضلاء الأمة، فأتوا برسالة من مثله إن كنتم صادقين. وإن لم تفعلوا.. ووالله لن تفعلوا.. فاتقوا الله الذي تُرجعون إليه، واتقوا ناراً تأكل أحشاء المجرمين.

ووالله إني ما ألّفت هذه الرسالة إلا لكسر نخوتكم، وإطفاء شعلة رعونتكم، وكنت أطيع على رؤية ذلّي ومساغ غصّتي، ولكني أردت أن أظهر كيفية علمكم على المنصفين. فنثلتُ كنانتي، وقضيت من دُرر البيان لبانتي، فإن ناوحتم وأتيتم بكلام من مثله فلکم الألف بل أزيدُ عليه عشرين درهما للغالين.

ووالله إني ما أرى فيكم إلا إجمال القرائح وإكداء الماتح والماتح، وما أرى عندكم من ماءٍ معين. وأعجبتني أنكم.. مع كونكم حاوي الوفاض من المعارف الدينية.. تستكبرون ولا تستحيون، ولا تنتهجون محجة المتقين. فوالذي بعثني لإلزامكم وإفحامكم، لقد سألتُ الله أن يحكم بيني وبينكم، ويوهن كيد الكاذبين. وما عرضت عليكم درهماً وديناراً إلا اختباراً، فإن ناضلتموني تفسيراً

ونظما، فهو لكم حتما. واعلموا أن الله يُخزيكم، ويُري الخلقَ جهلكم، ويريكُم ما كنتم تكذبون وتستعلون مستكبرين.

وقد نظمت هذه القصائد بارتجال من غير انتحال، في بلدة "عَنْبَسَر"، وكانَ ثَمَّ مُشَاهِدِي حِزْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. ولكني أمهلکم إلى شهرين من وقت إشاعة هذه الرسالة، وأرقب ما تجيئون.. أتولون الدبر أو تكونون من المناضلين؟

إن شيخ "البطالة" دعاني غضباناً، فنهضت إليه عجلاناً، وقلت: قُمْ قُمْ، إني أتيت الآن، ودائيته بالمصباح المتقد، ولكني أعلم أنه من قوم عمين.

وهذه رسالة قد أودعتُ دقائق القرآن، وضُمّخت بطيب العرفان، وسيق إليه * شربٌ من تسنيم الجنان، وسفرت عن مرأى وسيم، وأرج نسيم، وتراءت بوجه حسين. لمعاتها أزرات بالجمان، وصلت القلوب بالنيران، وهيجت البلابل في صدور المعاندين. وكتبتها لئلا يبقى للجدال مطرح، ولا للمراء مسرح، ولتبتين الحق وليستين سبيل المجرمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* يبدو أنه سهو الناسخ، والصحيح: "إليها". (الناشر)

رسالة

لمن يأت بمثلها فله إنعام ألف من الورق*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وتتباعده الأفكار عن فهم كُنْهه تباعدَ الليل من النهار، الذي دَعَا الناسَ بالقرآن ورسوله المصطفى إلى مأدبة الجفلى من أهل الحضارة والفلا، والصلاة والسلام على حبيبه محمد خاتم النبيين وفخر المرسلين، الذي جاء بالحجج والبراهين، وأسعفَ الناسَ بحاجاتهم ويَمِّمَ إصلاحَ العالمين. فكم من مُحَلِّقٍ إلى الهوى دخلَ في الروحانيين، وكم من ذي لسان سليط وغيظ مستشيط صار من المهذِّبين المطهَّرين. اللهم فصلِّ على هذا الرسول النبيِّ الأمِّيِّ الذي فاق الرسلَ كلهم في كمالاته، وحاز كل فضيلة في سيره وصفاته، وألَّفَ بين قلوب أمم كانوا يُداجون ولا يُخلصون، وأصلح قوما كانوا يشركون ولا يوحدون، وطهَّرَ أناساً كانوا يفسجون ولا يتقون، ويُنسخون مطايا نفوسهم ولا يسبرون في سبل الله ولا يتيقظون.

وكان (ﷺ) أمياً لم يقرأ شيئاً من علوم الدنيا والدين، وبلغ أشده في قوم أميين وعميين، ولم ير (ﷺ) وجه العالمين العارفين. بل لم يرُم عن وجاره، ولا ظعن عن إلفه وجاره، ومع ذلك سبق العالمين

* الكلمات التي تحتها الخط ترجمة عبارة وردت هنا بالأردية. (الناشر)

والعالمين في عقله وعلومه وبركاته وفيوضه وأنواره، حتى غمرت مواهب هدايته المشارق والمغرب والأجانب والأقارب، وأطال كل ذي ذيل ذيله إلى بركاته، وامتدت أيدي الناس إلى إفاداته وخيراته. فأرى الناس سبل السلام، ونجّاهم من المسالك الشاغرة وطرق الظلام، وطهّره من شعب النفاق والشقاق، والنزاع والمشاجرة وسير اللثام. وبصر العيون، وأحسن الظنون، ونجّى المسجون، حتى ألقى في روع الناس الاستسلام، وثبّت جذبات كفرهم وثبت الأقدام، ونشّطهم إلى الثبات والاستقامة وأقام، فأبصروا ورأوا سبلهم ومنازلهم وتخيروا المناخ، ووردوا الورد النفاخ، وزكّوا ومحصّوا وطهّروا حتى سُموا خيار الناس، وخلّصوا من كل نوع النعاس، وكملوا في العلم الباطني والخبر الروحاني إلى أن أترعوا بالمعروف الأكياس، وححص فيهم نور ينير الناس، وبُدلت شيمهم وقرائحهم، ونوّرت نفوسهم ونُشرت مدائحهم. واعتلقوا بالنبى الكريم اعتلاق الأثمار بالأعواد، ولوّوا أعتتّهم من طرق الفساد إلى مناهج السداد، حتى وصلوا منازل القرب والمحبة والوداد، وبلغوا وانتهوا إلى كمالات قدرها الله للعباد.

فالحمد لله الذي هدى عباده بهذا الرسول النبى الأمى المبارك وأحيا به العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

واعلموا يا معشر المسلمين.. أن هذا الشيخ قد كذّبني وأكفرني بغير علم وهُدَى، واعتدى في الإكفار وطفق يسبّي ويحسبني من الذين يدخلون جهنم خالدين فيها وليسوا منها بخارجين. فقلتُ ويحك أيها الشيخ الضال، أقفوتَ ما ليس لك به علم، والله يعلم أني من المؤمنين. وقد ربّاني ربّي وحبّبي، وأدّبني فأحسن تأديبي، ورحمني وأحسن مثواي، وإني من المنعمين. ولم يزل ينتابني فيضانه، ويتواتر عليّ إحسانه حتى خرجتُ من البيضة البشرية، وأدخلتُ في الروحانيين. ومن بعد أنزلني ربّي لإصلاح الضالين، لأنصر الدين وأرجم الشياطين. وإن كنتَ في شكٍ من أمري فسوف يُريك ربي آياته، فكن من الصابرين الذين يتقون الله، ولا تكن من المستعجلين. فأبى واستكبر وأراد أن يكون أول المُكفرين. وما اقتصر على التكفير بل سبّني ولعني وحسبني من الملعونين. والله يعلم قلبي وقلبه وهو خير المحاسين.

ثم دعوته للمباهلة ليحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. فلم يُباهل وفرّ، وعلى الفرار أصرّ، ولم يكن فراره بنية الصلاح، بل لتوّقي الافتضاح، والافتضاحُ ملاقيه وإن كان من الهارين. وكان قد ادّعى أنه عالم أديب وأنا من الجاهلين. فدعوته للنضال في كلام عربي مبین، وقلت تعال أناضلك في النظم العربي ونثره وأقول ما تقول، وفي كل وادٍ معك أجول، وإني إن شاء الله من الغالين.

فأشاع في شياطينه أنه قرَنُ مجالي وقرين جدالي، فلزقتُ به كالداء العُضال، لبيارزني للنضال إن كان من الصادقين. فخاف وأبى، ونحت الحِيلَ وتولَّى، ولا يُفلح الكاذب حيث أتى.

فألهمني ربي طريقاً آخر ليهلك من كان من الهالكين، وهو أنني نظمت في هذه الأيام قصائد، وثقفتها في ثلاثة أيام أو أقل منها، والله عليه شاهد وهو خير الشاهدين. وزينتها بالنكات المهذبة، والاستعارات المستعذبة، ملتزماً جدّ القول وجزله، وأيدني ربي وعلمني سبلها وإن كنت من الأميين. فالآن وجب على الشيخ المذكور أن يُناضلني في ذلك، وينظم قصيدة في تلك الأمور بعدة أبيات هذه القصائد وأساليب بلاغتها، فإن أتم شرطي فله ألف من الدراهم المروّجة، إنعاماً مني عليه ولكل من ناضلني من العلماء المكفرين. ومع ذلك أوتيهم موثقاً من الله لأكتب لهم بعد غلبهم كتاباً فيه أقرّ بأنهم العالمون الأدباء وإني من الجاهلين الكاذبين المفترين. ولكن لا يجب عليّ إيفاء هذا الشرط وأداء هذا الإنعام إلا بعد شهادة فرسان الصناعة وأرباب البراعة، وتصديق من كان جهنّذ تنقيد الكلام من الأدباء الماهرين. وإن لم يفعلوا.. ولن يفعلوا.. فاعلموا أنّهم من الكاذبين الجاهلين المفندين.

وهذا آخر الحِيلِ لسببِ قليب ذلك الشيخ المضل، فإنه أهلك خالقاً كثيراً بغوائله، فظلوا عُمياً وعوراً وكانوا على علمه متكئين. وأرجو بعد ذلك أن يُنجيهم الله من شره وهو خير المنجين. والآن

أكتب قصيدتي، وما توفيقني إلا بالله الذي هو ربي وناصري،
ومعلمي في كل حين.

القصيدة الأولى

في نعت الرسول ﷺ

يا قلبي اذكر أحمدا عين الهدى مُفني العدا
 برًّا كريمًا محسنا بحر العطايا والجدَا
 بدر منير زاهرٌ في كل وصفٍ حُمدا
 إحسانه يصبي القلوب وحسنه يروي الصدى
 الظالمون بظلمهم قد كذبوه تمردا
 والحق لا يسعُ الوري إنكاره لما بدا
 اطلبْ نظيرَ كماله فستندمنَّ مُلَددا
 ما إن رأينا مثله للنائمين مُسهَّدا
 نور من الله الذي أحيا العلومَ تجددا
 المصطفى والمجتبي والمقتدى والمجتدى
 جمعتُ مرايع الهدى في وبَّله حين الندى
 نسِي الزمان رهامه من جود هذا المقتدى
 اليوم يسعى النكسُ أن يُطفي هداه ويُخمدَا
 والله يُبدي نوره يوما وإن طال المدى
 يا قطرَ سارية وغا دقد عُصمتَ من الردى
 ربَّيتَ أشجار الأسرِّ ةً بالفيوض وقرددا
 إنا وجدناك الملاذ فبعد كهفٍ قد بدا

لا نَتَّقِي قَوْسَ الْخَطْوِ ب ولا نبالي مُرَجِدَا
 لا نَتَّقِي نُوبَ الزَّمَا ن ولا نخاف تَهْدُدا
 ونُمُدُّ فِي أَوْقَاتِ آفَا ت إلى المولى يدا
 كَمَ مِنْ مَنَازِعَةٍ جَرَتْ بَيْنِي وَأَقْوَامِ الْعِدَا
 حَتَّى انْتَهَيْتُ مَظْفَرَا وَمَوْقَرَا وَمَوْيِّدَا
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا يَوْمَا يَشِيْبُ تَوْهَدَا
 آلَامُهُ مَا تَنْقُضِي وَأَسِيرَهُ مَا يُفْتَدِي
 وَاللَّهِ إِنِّي مَا ضَلَلْتُ ت وَمَا عَدَلْتُ عَنْ الْهُدَى
 لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ مِمَّنْ إِذَا هُدِيَ اهْتَدَى
 لِلَّهِ حَمْدٌ ثُمَّ حَمْدٌ قَدْ عَرَفْنَا الْمَقْتَدَى
 كَادَتْ تُعَفِّئِي ضَلَالَا ت فَأَدْرَكَنِي الْهُدَى
 يَا صَاحِبَ إِنْ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى لَنَا هَذَا جَدَا
 هُوَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي تُعْطِي نَعِيمًا مُخْلَدَا
 أَتَجُولُ فِي حَوْمَاتِ نَفْسِكَ تَارِكًا سِنَّنَ الْهُدَى
 هَلَا انْتَهَجْتَ مَحْجَةَ الْأَحْيَاءِ يَا صَيْدَ الرَّدَى
 يَا مَنْ غَدَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَشَدَّ بَغْضًا كَالْعِدَا
 اخْتَرْتَ لَذَّةَ هَذِهِ وَنَسِيتَ مَا يُعْطَى غَدَا
 يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا قَدْ هَلَكْتَ تَجَلَّدَا
 عَادِيَتَ أَهْلَ وَايَةِ وَقَفَوْتَ آثَارَ الْعِدَا
 الْيَوْمَ تُكْفِرُنِي وَتَح سَبَنِي شَقِيًّا مَلْحَدَا

يَا مَنْ تَظَنَّنِي الْمَاءَ مِنْ حَمَقِ سَرَابَا وَاعْتَدَى
السَّبْرُ سَهْلٌ هَيِّنٌ إِنْ كَانَ فَهْمٌ أَوْ صَدَى
وَاللَّهُ لَوْ كُشِفَ الْغَطَا ءِ وَجَدْتَنِي عَيْنَ الْهُدَى
وُنُظِمْتَ فِي سَلِكِ الرَّفَا قِ وَجِئْتَنِي مُسْتَرْشِدَا

القصيدة الثانية

أيا محسني أثني عليك وأشكرُ
بفضلك إنا قد غلبنا على العدا
فتحتَ لنا فتحة ميينا تفضلاً
قتلتَ خنازير النصارى بصارمٍ
بوجهك ما أنسى عطاياك بعده
تلبّيك روجي دائماً كلّ ساعة
وتعصمني في كل حرب ترحمًا
ينورُ ضوءُ الشمس وجهَ خلّاتق
تحيطُ بكنهه الكائنات وسرّها
ونحن عبادك يا إلهي وملجأي
نصرتَ لإفحام النصارى قريحتي
وأخذتهم وكسرتَ دأياً منضدًا
فسبحان من باري لنصرة دينه
سقاني من الأسرار كأساً رويّةً
غيورٌ يبيد المجرمين بسخطه
وحيد فريد لا شريك لذاته
له الملك والملكوت والمجد كله

فدّى لك روجي أنت تُرسي ومأزرُ
بنصرك قد كسرتَ الصليب المبطرُ
بفوجٍ إذا جاؤوا فزهق التنصرُ
وأردى عدانا فضلك المتكثُرُ
وفي كل ناد نبأً فضلك أذكرُ
وإنك مهما تحشّر القلب يحضُرُ
فدّى لك روجي أنت درعي ومغفرُ
ولكن جناني من سناك يُنورُ
وتعلم ما هو مستبان ومضمُرُ
نخرُ أمامك خشيةً ونكبرُ
وهدّمتَ ما يُعلي الخصيم ويعمرُ
وأتمتَ وعدك في صليب يكسرُ
وأخزي النصارى فضله المتكثُرُ
وإن كنتُ من قبل الهدى لا أعثرُ
غفورٌ ينجي التائبين ويعفرُ
قويُّ عليّ مستعان مُقدّرُ
وكلُّ له ما بان فينا ويظهرُ

مليكٌ فيزعج ذي^٥ شقاق ويحصر^٥
 فيهلك من هو فاسق ومزور^٥
 وحيد فريد ما دناه التكثر^٥
 سواه فقد نادى الردى ويُدمر^٥
 فقال لك البشرى وأنت المظفر^٥
 وقصدت^٥ "عَبْرَسَر" وقَطْرِي يَمْطُر^٥
 فتخيروا منهم خصيما وأنظر^٥
 وكلُّ تسلح صائلا لو يقدر^٥
 يصول على سبل الهدى ويزور^٥
 على الله فيما كان يهذي ويهجر^٥
 فسبحان ربّ العرش عما تصوروا
 أب وابنه حقا وروح مطهر^٥
 وخالقنا الرب الوحيد الأكبر^٥
 من الأرض أو هو في السماء مدبر^٥
 وإلنا حي ويقى ويعمر^٥
 وحاشاه ما الأولاد شيئا يوقر^٥
 إله وتعلم أنه لا يقدر^٥
 وقال هو الشيخ الذي لا يُنكر^٥
 ومذهبه مثل النصارى تنصر^٥

ودودٌ يحبّ الطائعين ترحمًا
 يحيط بكيد الكائدين بعلمه
 ولم يتخذ ولدًا ولا كفو له
 ومن قال إن له إلهًا قادرا
 وبشرني قبل الجدال بلطفه
 ففاضت دموع العين مني تذلا
 فجئت النصارى في مقام جلوسهم
 وظلّ النصارى ينصرون وكيّهم
 رأيت مبارزهم كذّاب بظلمه
 فخاصم ظلما في ابن مريم واجترا
 وقال: له ولد... مسيح ابن مريم
 وقال بأن الله اسم ثلاثة
 فقلت له احسأ ليس عيسى بخالق
 أثبت في ملك له من بريّة
 وإن على معبودك الموت قد أتى
 وليس لمستغن إلى الابن حاجة
 أعيسى الذي لا يعلم الغيب ذرة
 فأثنى على إبليس بالعلم والهدى
 ويؤمن بالابن الوحيد تيقنًا

^٥ سهو، والصحيح: "ذا". (الناشر)

أثنتي على غول يُضِلُّ ويُدخِرُ
ولكنكم عُمِّي فكيف التبصُّرُ
وكان كدجال يُداجي ويمكرُ
تقولُ حُبناً ذلك المنتصرُ
ومسيحنا عبد وربُّ أكبرُ
إله وعبد؟ ذاك شيء منكرُ
ومن يؤمنن يُرشدن عقل مطهرُ
تقولون ما لا يفهم المتفكرُ
وما في يديكم من دليل ينورُ
وإثباته مستنكرٌ متعذرُ
وقد جاء هدي بعد هدي ومنذرُ
وحرّفها قوم خبيث مُعيرُ
وهذا من الشيطان هدي آخرُ
وهيهات لا والله بل هو أحقرُ
نعم من عباد الله عبدٌ مُعزَّرُ
وأرسلني ربي مثيلاً فتنظرُ
فطوبى لمن يأتين صدقا ويبصرُ
أجزتم حدوداً يا بني الغول فاحذروا
فلا تهلكوا متجلدين وفكروا
أتعبد ميتاً أيها المنتصرُ؟

فقلتُ له يا أيها الضال من هوَى
وما كان حامده بصيرٌ قبلكم
فما تاب من هذيانه وضلاله
وكم من خرافات وكم من مفاسد
وقال لي إن الله خلَقُ وخالقُ
فقلتُ له يا تارك العقل والنهي
إذا قلّ دين المرء قلّ قياسه
وإني أرى في خبطِ عشواء عقولكم
وإني أراكم في ظلام دائم
وإن هو إلا بدعة غير ثابت
تعرف في الصحف القديمة مثله
أناجيل عيسى قد عفت آثارها
نبذتم هدايته وراء ظهوركم
أقمتم جلال الله في رُوح عاجزٍ
فقير ضعيف كالعباد وميتٍ
وإن شاء ربي يُبدِ ألقاً نظيره
وقد اصطفاني مثل عيسى ابن مريم
أنبيئنا ميتٌ وعيسى لم يمِت؟
تُوفِّي عيسى هكذا قال ربنا
أتخذ العبد الضعيف مهيمنا؟

فلا تَتَّبِعْ يا صاحِ قوما خُسِّروا
 وييدي لك الرحمن ما كنت تُضمِّرُ
 يصول بوثبٍ أو تدبٍّ وتأبِرُ
 وقولي عميقٍ لا يليه المصعِّرُ
 وما يمدحَنُ حسناً ضريرٌ معدَّرُ؟
 إذا ما تعالى شأنه المتستَرُ
 وإن كنت في شكٍ فبارزْ فنحضرُ
 بأيدي وفي اليمنى حُسامٌ مشهَرُ
 إلى أن أبان الحقُّ والحقُّ أظهرُ
 فلا الظيِّ متروكٌ ولا العيرُ يُنظرُ
 أشاشٌ لقلبي بل مرامٌ أكبرُ
 يكافئُ جيشَ القدرِ أو هو أكثرُ
 ولاحتِ براهيني كَنارٍ تزهرُ
 نُصرتُ وأيدي قديرٌ مظفرُ
 إلى مشربٍ صافٍ وماءٍ يُطهرُ
 ووالله كان كذي ضلالٍ يزورُ
 وفي هذه سرٌّ على العقلِ يعسرُ
 فنحسبه ربا كما هو يُظهرُ
 وما جاء في الإنجيل ما أنت تذكرُ
 قديمٌ فلا يفنى ولا يتغيرُ

ألا إنه عبد ضعيف كمثلنا
 ووالله يأتي وقت تصديق كلمتي
 فلا تسمعَنُ من بعد ذئبا وعقربا
 مقامي رفيع فوق فكرٍ مفكِّرُ
 إذا قلَّ علم المرء قلَّ اعتقاده
 ألا ربَّ مجدٍ قد يُرى مثل ذلَّة
 ألم تعلمنُ أني جريٌّ مبارز
 وبارزتُ أحزابَ النصرارى كضيغم
 وما زلتُ أرميهم برمحٍ مُدْرَبٍ
 وإنا إذا قمنا لصيدٍ أو ابدٍ
 وقتل خنازير البراري وخرشهم
 وفي مُهجتي جيشٌ وأزعم أنه
 إذا ما تكلمنا وبارى مخاصمي
 فأوجس مبهوتا وأيقنتُ أني
 وأدركتُهُ في حمئة فدعوته
 فردَّ عليَّ بباطلاتٍ من الهوى
 وقال ليعسى حصَّةٌ في التَّأله
 وإن ابن مريمٍ مظهرٌ لأب له
 فقلتُ له هذا اختلاقٌ وفرية
 وإن إلهك مات واللهُ سرمدُ

ووجه المهيمن من مجالي مُطَهَّرٌ
 ولا يدركه بصر ولا من يُبصرُ
 فكيف يصورُ كنهَه متفكِّرُ
 وما في يديكم من دليل يوفِّرُ
 وتَدْعون مخلوقا ولم تتفكروا
 فكيف كحيٍّ سرمدٌ يُتصورُ
 ولكنكم عُمي فكيف أُبصرُ
 إذا ما انتهى الليلاء فالصبح يجشُرُ
 فهل من بصيرٍ بالتدبير ينظرُ
 وآياته دُرٌّ ومِسْكٌ أَذْفَرُ
 وفكْرٌ ولا تعجل ونحن نُذَكِّرُ
 فجهلك جهلٌ بين ليس يُسْتَرُ
 فهذا الهدى عند النهي مستنكرُ
 أسلِّمَ فيهم ابنك المتخيرُ
 وإن خلتَه يخفى على الناس يظهرُ
 أَلَموت يا صيدَ الردى تتجعَّرُ
 أجهلك جهلٌ أو دخان مُعَبَّرُ
 فتأكل ما أكلوا ولا تتخفَّرُ
 وأنى أجارِدنا وأنى محمَّرُ
 وتتبع دينًا قد دَفاه التكدُّرُ

وما لا يُحدُّ فكيف حُدِّد كالورى
 وليس تُقاس صفاته بصفاتنا
 تعالت شئون الله عن مبلغ النهى
 وإن عقيدتكم خيال باطل
 وللخلق خلاقٌ فتدعون ذكرَه
 ومن ذاق من طعم المنايا بقولكم
 وقد نورَ الفرقانُ خلقا بنوره
 ألا إنه قد جاء عند مفاسد
 تُرى صورةُ الرحمن في خدرِ سُورِه
 تراءى لنا الحق المبين بقوله
 قل الآن هل في كتبكم مثل نوره
 وإن كنت تزعم أن فيها دلائلا
 وإن قلت آمنا بما لا نعقل
 وسل اليهود وسل أكابر قومهم
 ومهما يكن في كتبكم ذكرٌ عجزه
 جعارك خيطٌ فاتق البئر والردى
 أقلبك قلبٌ أو صلاية حرة
 أكلت خُشارة كل قوم مُبطل
 أباريت يا مسكين ذا الرمح بالعصا
 أترغب عن دين قوم منور

فَتَهْوُ نَحِيفًا فِي الْهُلَاسِ وَتَخْطُرُ
 وَفِي الْحَرْبِ نَارُ جَعْظَرِيٍّ مُتَعَجِّرُ
 فَلَا نَرْجِعَنَّ عِنْدَ الْوِغَا وَنُجَمَّرُ
 فَفِي أَعْيُنِي مَا أَنْتَ إِلَّا جَوْذَرُ
 إِلَامٌ تُحَامِي عَنْكَ سَهْمِي وَتَأْفُرُ
 أَهَذَا هُدَى الْإِنْجِيلِ أَوْ تَسْتَأْثِرُ؟
 وَأَيْنَ ثَبُوتٌ بَلْ حَدِيثٌ يُؤْثِرُ؟
 كَشَخْصٍ مَثْرٌ عَاشِقٌ لَا يَصْبِرُ
 وَسَيَعْلَمَنَّ كُلُّ إِذَا مَا بُعْثِرُوا
 وَلَكِنَّه بَعْرٌ شَدِيدٌ مَدْمَرُ
 وَمَنْ كَانَ مَحْجُوبًا فِيهْذِي وَيَهْجُرُ
 وَمَحْضِيرُنَا يَعْدُو وَلَا يَتَحَسَّرُ
 فَأَنْتَ لِعَوْلِ النَّفْسِ عَبْدٌ مَسْخَرُ
 فَنَفْسُكَ سَوْفَ تُحَجَّرَنَّ وَتُحَوَّرُ
 لَكَ الْبُهْرُ فِي الدَّارَيْنِ وَالنُّورُ يَبْهَرُ
 وَيَهْتِكُ رَبِّي كُلَّ مَا هُوَ تَسْتَرُ
 وَهَذَا وَبَالَ أَنْتَ فِيهِ مَتَبَّرُ
 وَأَسْرَاكُمْ سَقَطُ اللَّوِيِّ وَحَبَّوْكَرُ
 وَيَضْحَكُ جَمْهُورٌ عَلَيْهِ وَيُنْكَرُ
 وَإِجَارُ بَيْتٍ مِنْ بَعِيدٍ يَظْهَرُ

وإن لم تداور جُشْرَةَ البخل والهوى
 وإني كماء عند سلمٍ وخُلَّةٍ
 إذا ما نصبنا في مواطنِ خيمةٍ
 ولو ابتهرتَ وقلتَ إني ضيغمُ
 ألا أيها الصيد الركيك الأعورُ
 أعيسى الذي مات ربُّ وخالق؟
 أعيسى إلهُ أيها العميُّ من هوى
 ظننتم فأنتم تعبدون ظنونكم
 تركتم طريق الحق شُحًا وخسَّةً
 عسى أن يزيل الله شُحَّ نفوسكم
 ومن كان ذا حجرٍ فيدري حقيقةً
 ستغلب يا يَحْمُورَ قومٍ محقرٍ
 قد استخمر الشيطان نفسك كلها
 ألا إن ربي قد رأى ما صنعته
 أتطفئ نورا قد أريدَ ظهورها
 وإني أرى قد بارَكيدك كله
 أتترك أعنابا وتنقف حنظلا
 تياهيرُ قَفَرٍ فِي عَيْونِكَ مَرَبَعُ
 عقيدتكم قد صار للناس ضُحْكَةً
 رأى الناسُ بالتحقيق ما في بيوتكم

وهداه جَمَجَمَةً وَقَوْلٌ مُكْوَرٌ
 وَلَكِنْ إِلَى الْإِلْحَادِ وَالشُّكِّ يُدَحَّرُ
 وَيُهْدَى بَيْتِ نَجَاتِكُمْ وَيَدْمَرُ
 اللَّهُ زَوْجَ أَيُّهَا الْمْتَمَذِرُ؟
 وَحَيْدٌ فَرِيدٌ قَادِرٌ مَتَكَبِّرُ
 إِذَا مَا تَبَعْتَ هُدَاهُ فَاللَّهُ يُوَثِّرُ
 وَيَأْخُذُ قَلْبَكَ حُبُّ حَبٍّ وَيَأْطُرُ
 وَكَمِثْلُ هَذَا النُّورِ مَا بَانَ نَيْرُ
 فَدَعُ مَا يَقُولُ الْكَافِرُ الْمْتَنْصِرُ
 وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ بَدَرَ مِنْوَرُ
 وَمَنْ ذَكَرَهُ الْأَحْلَى كَأَنِّي مُتَمَرُ
 وَقَدْ رَسُولَ اللَّهِ تَنَجُّ وَتُعْفَرُ
 وَمَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ فَيَتَبَّرُ
 فَقَدْ رُدَّ مَلْعُونًا وَسَوْفَ يُمَذَّرُ
 فَذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يَعْتُو وَيُشْعَرُ
 أَلَا إِنْ حَزَبَ اللَّهُ يَعْلُو وَيُنْصَرُ
 وَتَاللَّهِ إِنْ نَبِينًا مُتَبَقَّرُ
 لَهُ مَلَّةٌ بِيضَاءُ لَا تَتَغَيَّرُ
 وَسَنَّةٌ خَيْرِ الرِّسْلِ خَيْرٌ وَأَزْهَرُ
 وَلَوْ لِلصَّدَاقَةِ مِثْلَ بَكْرٍ تُنْهَرُ

وَلَا يُظْهَرَنَّ إِنْجِيلِكُمْ فَهَجَّ الْهُدَى
 وَمَنْ تَبَعَهُ مَا وَجَدَ رِيحَ تَيْقِنٍ
 وَمَا فِيهِ إِلَّا مَا يُضِلُّ قُلُوبَكُمْ
 وَمَنْ أَيْنَ طِفْلٍ لِلَّذِي هُوَ أَطْهَرُ
 وَلَكِنَّا لَا نَعْرِفُ اللَّهَ هَكَذَا
 وَذَلِكَ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ كِرَامَةٌ
 وَيَشْغَفُكَ اللَّهُ الْعَزِيزِ مَحَبَّةً
 فَطُوبَى لِمَنْ صَافَى صِرَاطَ مُحَمَّدٍ
 وَصَلْنَا إِلَى الْمَوْلَى بِهَدْيِ نَبِينَا
 وَفِي كُلِّ أَقْوَامٍ ظِلَامٍ مَدْمَرٌ
 وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ مُهَجَّةٌ مُهَجَّتِي
 فَدَعُ كُلَّ مَلْفُوظٍ بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ
 وَلَيْسَ طَرِيقَ الْهُدَى إِلَّا أَتْبَاعَهُ
 وَمَنْ رَدَّ مِنْ قَلِّ الْحَيَاءِ كَلَامَهُ
 وَمَنْ يَرِ تَقْوَى غَيْرَ هَدْيِ رَسُولِنَا
 وَمَا نَحْنُ إِلَّا حَزْبُ رَبِّ غَالِبٍ
 وَوَاللَّهِ إِنْ كَتَابْنَا بَجْرُ الْهُدَى
 وَيَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ دِينُهُ
 وَنُوَثِّرُ فِي الدَّارَيْنِ سَنَنَ رَسُولِنَا
 فَلَمَّا عَرَفْتَ الْحَقَّ دَعُ ذَكَرَ بَاطِلٍ

ويعلم ربي ما تُسرُّ وتُخمرُ
 وثابرَ على الحق الذي هو أظهرُ
 فلا تهلِكوا بغياً وتوبوا واحذروا
 وكمثل هذا الخلق في الدود تنظُرُ
 ويخلق ربي ما يشاء ويقدرُ
 تكوّن في ليل وتنمو وتكثرُ
 ففكّرْ هداك الله هاد أكبرُ
 فبارزْ لنا إنا إلى الحرب نَعكُرُ
 فتنظرُ أنا نغلبن ونُصِرُ
 ولو مُزّقت ذراتُ جسمي وأكسرُ
 ووالله إني فائز ومُعزّرُ
إمام الأنام المصطفى المتخيرُ
 تكدُّ وتستقري الحال وتفجرُ
 محرّفة في كل عام تُغيّرُ
 وقد قلتُ تحقيقاً ولو أنت تبسرُ
 يوسوسكم في كل حين ويمكرُ
 ولأخريات الناس نحن نذكرُ
 ولا يستوي دخنٌ ونجمٌ أزهرُ
 يدقُّ أجزاء الصليب ويكسرُ
 وكل امرئ عن قوله يُستفسرُ

ألا أيها الثرثار خفّ قهراً قاهرُ
 فلا تقفْ ما لا تعرفنَّ وجوهه
 ووالله ما كان ابن مريم خالفا
 ولا تعجبن من أنه ليس من أب
 بل الدود أعجب خلقاً من مسيحكم
 ألا ربّ دود قد ترى في مربع
 وليست لها أمُّ بأرض ولا أبُ
 وإن كنت لا تدعُ الجدال وتُنكرُ
 وإن لنا المولى ولا مولى لكم
 ووالله إني أكسرن صليكم
 ووالله يأتي وقتٌ فتحي ونصرتي
 ووالله يُنتى في البلاد إمامنا
 وما في يدك بغير قول مدلس
 وكُتبتُ قفرٌ حشوها الكفرُ والردى
 فتلك براهين على سَخفِ دينكم
 لقد زينَ الشيطان أقواله لكم
 وقد ذكرَ الأخيارُ من قبل قومكم
 وكيف يساوي دين عيسى لدينا
 وقد جاء يوم الله فاليوم ربنا
 وقلتُ له لا تحسب العبد خالفا

وسيدى المهيمن كل ما كنت تستر
 بلاغ فبلغنا وإنك منذر
 لتسعر نار الله ثم تدمر
 وزد في عمايات فتفنى وتبتر
 سيحرق في نار اللظى من يفجر
 وليس له أحد شفيعا ومأزر
 إذا ما ترقت عيننا تحير
 أتسون يوما ما به الناس أنذروا
 فسبحان رب العرش عما تصوروا
 نرد على من قال حي ونحجر
 وكان هو الأولى وأكفى وأجدر
 على ظهرها فأعجب لهذا وفكروا
 ألوف فهل ترين كابنك آخر
 فشجرة نسل الله تنمو وتكثر
 يمكن في سنن القديم تغير؟
 مبين فهل أبصرت أو لا تبصر؟
 ظلما مهيبا فيه تهوي وتندر
 لأقوال قوم قد أضلوا ودّمروا
 ألا تتبعن قوما هُدوا وتبقروا
 تُريكم لظى النار التي هي تُسعر

وقلت له لا تستر الحق عامدا
 وقلت له لما أبى إن شأننا
 وإن كنت لم تسمع فزد في تجاسر
 فزد في جرات وزد في تقاعس
 وليس عذاب الله عذبا كما ترى
 غيور فيأخذ مشركا بذنوبه
 رفيع عليّ كيف يدرك كنهه
 أتعمون بغيا من به الخلق آمنوا
 وكيف يكون العبد كائنا لربه
 وقد مات عيسى ليس حيا وإننا
 وأخبرني ربي بموت مسيحكم
 وكم من دواب الأرض يجيا مدة
 وإن جنود الأنبياء وجزهم
 فإن كان للرحمن ولد كقولكم
 أبدال سنة ربنا بعد مدة؟
 وقانون سنن الله في بعث رسله
 وإن لم تر اليوم الهدى فترى غدا
 أتخلع جهلا ربة العقل والنهى
 أتترك ما جاءت به الرسل من هدى
 عليكم بسبل الله من قبل ساعة

وإن ينضجن جلد فيخلق آخر
وييدي لك النور الذي اليوم تُنكر
وإن عذاب الله أدهى وأكبر
نرى بغيكم ودموعنا تتحدر
ولكل ما يأتيك وقت مقدر
وها أنا قبل عذاب ربي أُخبر
فأنتم قبلتم كل ما هم زوروا
وثرّت خطاياكم فلم تستغفروا
ولتقبلوا ما قال ربي وتُغفروا
فيعطك من عين وعين تُنور
تعال على قدم الضلال فتزهر
وذلكم الشيطان يُغوي ويحصر
وأزعجت أصل أصولكم ثم تُنكر
وهذا فساد ظاهر ليس يُستر
كما بالعيون يشاهدن ويُبصر
وكصفق أيدٍ منهما العلم يظهر
فبارز لحرب الله إن كنت تقدر
تشمّر ذيلك للحطام وتهجر
وإن كلام الله لا تتغير
إذا ما انقضت فاعلم بأنك مُحضّر

عذاب أليم لا انتهاء لحرقه
ينبئك العلام ما كنت تُضمّر
ألا أيها الناس اتقوا الله ربكم
لم يأتيكم نُذُرٌ وآيات ربكم
ولكل نباً مستقرّ ومظهر
ويحكم ربُّ العرش بيني وبينكم
وقوم مضوا من قبل ضالين من هوى
أخذتم طريق الشرك والفسق والردى
فأرسلني ربي إليكم لتتهتدوا
فإن شئت ماء الله فاقصد مناهلي
وأغلظ حجب ما تُراك على الهدى
وفيك فساد لو علمت اجتنبتّه
ذبت عن الدين الحنيفي شكوككم
وقلتم: لنا دين بعيد من النهي
وكل أمرئ بالعقل يفهم أمره
وعقل الفتى نصف، ونصف حواسه
تصديت في نصر الضلال تعمداً
وما أنت إلا عابد الحرص والهوى
رأيت لك الرؤيا وإنك ميت
وعدة وعد الله عشر وخمسة

وتعمى وتحضر عند ذي العرش مجرماً
وما قلت من تلقاء نفسي تجاسراً
فبلغت تبليغا وآليت حلفةً
فإن أكَ صديقاً فرَّبِي يعزِّي
وأعلم أن مهيمني لا يضيعني
فتوقد السفهاء من أهل الهوى
ذوو فطنة يدرون بحثي وبحثه
وإن يُسَلِّمَن يُسَلِّمَ وإلا فميتٌ
ووالله هذا من إلهي ومن يعش
وتحت رداء الله روعي ومُهَجِّي
ولست بربي كاذبا تارك الهدى
وهنأني ربي بنهج محبة
وذلك من بركات روح رسولنا
رؤوفٌ رحيمٌ أمرٌ مانعٌ معاً
له درجات لا شريك له بها
تخيَّره الرحمن من بين خلقه
وكان جلالاً في عرَّانين وبَّله
رؤوفٌ رحيمٌ كهفٌ أممٌ جميعها
ألا ما هَرَفْنَا في ثناء رسولنا
وإن أمان الله في سبل هديه

وتُسأل عما كنت تهذي وتكفر
بل الآن نبأني العليم المقدر
على صدق ما أظهرت فانظُرْ ونظُرْ
وإن أكَ كذاباً فسوف أُحقرُ
وأعلم أن مؤيِّدي سوف ينصُرُ
وكل امرئ عند التخاصم يُسبرُ
وما في السماء فسوف يبدو ويظهرُ
وهذان منا آيتان ونشكرُ
إلى أشهر مذكورة فسينظرُ
وما يعرفني أحد ورَّبِي يُبصرُ
ولست بربي كالذي هو يهدرُ
على ما تَضَوَّعَ مِنْكَ فتحي وعنبرُ
نبيُّ له نور منير وأزهرُ
بشيرٌ نذيرٌ في الكروب مبشرُ
له فيضٌ خيرٌ لا تضاهيه أجرُ
ذُكَاءٌ بجلوتةٍ وبدرٌ منورُ
خَصَى الفأرَ من أنفاقهن الممطرُ
شفيعُ الورى سَلَى إذا ما أضجروا
له رتبةٌ فيه المدائح تُحصَرُ
فطوبى لشخص يقتني ما يؤمرُ

فبنشوة الصهباء سُروا وأبشروا
وجهلته مثل الأوابد ينفر
وأيقظهم فاستيقظوا وتطهروا
وبدرٌ منيرٌ لا يضاهيه نيرٌ
وعلمهم سنن الهدى فتبصروا
شفيعٌ كريمٌ مشفقٌ ومُحذِرٌ
ومن أعرض عن أحكامه فيدمرُ
وأخلاقه العليا ولا يتأخرُ
ودع العصا لما تراءى المفقِرُ
فظوبى لقوم طاعوه وخيروا
إذا ما التقى الجمعان فانظرُ ونظرُ
منيرٌ فنورٌ عالمٌ وينورُ
ويسقي كؤوسَ معارفٍ ويوفرُ
وفيه وجدنا ما يقى ويبصرُ
بناظرة من عين خلد ينظرُ
لما صانه الله التقدير الموقرُ
أرى أنه دُرٌّ ومسكٌ وعنبرُ
فهل في الندامى حاضرٌ من يكرُرُ
نسيم الصبا من شأنه تتحيرُ
يرى نوره يجري كعين ويمطرُ

سقى فيهِجَ العرفانِ كلِّ مصاحب
وقد راح والمخلوقُ في ظلماته
فأكملهم قولاً وفعلاً وميسماً
رسولٌ كريمٌ ضعَّفَ اللهُ شأنه
وكافحَ أمرَ المسلمين بنفسه
بأُمَّته أحفى من الأب بابنه
فمن جاءه طوعاً وصدقاً فقد نجا
ولم يتقدم مثله في كماله
فدع ذكرَ موسى واترُكنَ ابنَ مريمٍ
له رتبةٌ في الأنبياء ربيعة
وعسكره في كلِّ حربٍ مبارزُ
وجاء بقرآنٍ مجيدٍ مكملٍ
كتاب كريمٍ حاز كلَّ فضيلة
وفيه رأينا بينات من الهدى
كعين كحيلٍ زينت صفحاته
طريُّ طلاوته ولم تعفُ نقطة
فيا عجباً من حسنه وجماله
وإن سروري في إدارة كأسه
ورياه قد فاق الحدائق كلها
إذا ما تلا من آية طالب الهدى

أشاهده في كل وقت وأنظرُ
وألهاه عن نور ظلامٍ مكدَّرُ
ويُعْرِضُ عنه الجاهل المتكبرُ
يداني رؤوسَ المنكرين ويكسرُ
فلن يَعصِمَ درعٌ منه فوجا ومغفرُ
يبشِّرنا في كل أمرٍ وينذرُ
وهُدَّتْ هراواهم وسُرُّوا وكسروا
وسوف تراهم مدبرين فُتْبِشِرُ
فدَى لك رُوحِي أنتِ وردٌ مُنْضَرُ
وأعطاك ربك هذه ثم كوثرُ
فكيف مُحمِّدُك الذي هو يُكفِرُ
وما إن أراه كعاقِلٍ يتدبرُ
وكالذئبِ يعوي حين يهذي ويهجرُ
كجُلْمودِ صخرٍ جهله لا يُغَيِّرُ
فقلتُ لك الويلات إنك أكفرُ
عليّ حريص كالعدا لو يقدرُ
أشقوةُ هذا المرءِ أمرٌ مقدَّرُ؟
يحرِّفُ قول المصطفى ويغيِّرُ
على الرجس والبلوى فكيف أظهرُ
فأليتُ إن الله مَعنا فنظفرُ

وفيه من الله اللطيف عجائبُ
أيعجب من هذا سفيهُ مشرَّدُ
إلى قوله يرنو الحكيم تلذذا
كتاب جليل قد تعالَى شأنه
هو السيف في أيدي رجالِ مَواطِنِ
كلام يفُلُّ المرهفات بحده
يُدِيَّةُ قومٍ مُنكِرٍ مغلولةُ
يباهون مَرِيحِينَ جهلا ونخوةُ
فدَى لك رُوحِي يا حبيبي وسيدي
وما أنت إلا نائب الله في الوري
ويعجز عن تحميد حسنك مؤمنُ
يكفِّرني شيخٌ وتتلوه أُمَّةُ
يُري ظهره عند النضال كتنعلب
غبيٌّ عتيٌّ أضرمَ الجهلُ غيظَه
وكفَّرني بالحقِّد من غير مرّة
ويسعى لإيذائي ويسعى بزوره
عجبتُ له ما يتقي الله ذرّة
فطوراً يردُّ البيئات وتارة
قصدتُ هداه ترحماً فتمايلا
وقال يمين الله ما لك ناصر

يسبُّ ويُدي كلَّ ما كان يُضمرُّ
فما قلَّ من أوامه بل تكثرُ
يردُّ النصوصَ كأنه لا يُبصرُ
نؤومٌ فيبغضُ كلَّ ما هو يسهرُ
فيهجونٍ من جهلٍ ولا يتخفّرُ
شريراً فيستقري الشرور ويفخرُ
بجَمٍّ وما يسقيه ماءً تفكرُ
كباقورة الأضحى بعيدٍ ينحرُ
يوسوسه وقتاً ووقتاً يكورُ
ووافقه خلقٌ ضيرٍ مدعثرُ
فقلنا احسّوا إن المهيمن أقدرُ
أيلعن مثلي مسلمٌ ويكفرُ؟
أيدعى بهذا الاسم شخص محقرُ
ويعلم ربي كل نفس وينظرُ
ويفعل ربي ما يشاء ويظهرُ
خَفَّ اللهُ يا صيدَ الردى كيف تجسرُ
فما لك لا تدري صلاحاً وتفجرُ
وقد كنتَ تشهد أن أحمدَ أظهرُ
وتعلم زارٍ وبعده تنمرُ
على ما تقول وفكرن كيف تكفرُ

ولما أريدُ علاجه من نصيحة
وجاهدتُ اللهُ الكريمِ لهديه
عجبتُ لِحتمِ اللهُ كيف أضلّه
خيالاته كالنائمين ضعيفة
وإننا نسهده وداداً وشفقةً
له كُتِبَ السبُّ والشتُمُ حشوها
يغوص كدلو عند خوض فيرجع
بعيد من التقوى فتسمع أنه
لقد زين الشيطان أقواله له
وأكفرني بخلاً وجهلاً ودنأةً
يقولون إنا قادرون على الأذى
فيا علماء السوء ما العذرُ في غد؟
وما غيظكم إلا لعيسى واسمه
وما تعلمون شؤون ربي وفضله
أنعمة ربي في يديكم محاطة؟
أنحن نفرّ من النبي وبابه
أترك قرآنا كريماً ودُرره
أخترت رجسا بعد خمسين حجة؟
وتعلم أبي حذريانٍ ومثقٍ
تبصّرُ خصيمي هل ترى من دلائلٍ

أُنْبَدُ صَحْفَ اللَّهِ كَفْرًا وَهَجْرًا؟
 وَدِينًا مَخَالَفَ دِينِهِ نَتَخَيَّرُ
 كَلَانَا أَمَامَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَنْظُرُ
 وَمَنْ كَانَ مِنْ حَزْبِي فَيُعَلَى وَيُنْصَرُ
 وَمَا يَكْتُمُ الْإِنْسَانَ فَالدهرُ يُظْهِرُ
 وَمَا جَاءَ مِنْ هَدْيٍ مَبِينٍ فَتَوَثَّرُ
 بِيَوْمٍ يَقُودُ إِلَى الْمَلِيكِ وَيَحْشُرُ
 فَيُحْرَقُ فِي يَوْمٍ لظَاهِ تُسَعَّرُ
 وَمَا يَسْتَوِي عُمِّيَّ وَقَوْمَ يُبْصِرُ
 فَيَكْبَهُ فِي هَوَّةٍ وَيَدْمُرُ
 وَمَا يَجْتَبِي الْفُسَّاقَ رَبُّ أَطْهَرُ
 عَلَيَّ وَلَا حَكْمٌ وَقَاضٍ فَتَأْمُرُ
 فَقَدْ ضَاعَ يَا مَسْكِينَ مَا كُنْتَ تَبْدُرُ
 فَمَا لَكَ يَوْمَ الْأَخْذِ لَا تَتَذَكَّرُ
 وَإِنَّ الْهَدْيَ بَعْدَ الْقَلْبِ مُتَوَعَّرُ
 وَتُكْفِرُ مَنْ أَلْقَى السَّلَامَ وَتَجْسُرُ؟
 أَرَيْتَكَ آيَاتٍ وَلَكِنْ تُزَوِّرُ
 لِعَمْرِي هُدَيْتَ وَصَرْتَ شَيْخًا يُبْصِرُ
 كَعُوقُلٍ هَوَى وَالْغُولُ لَا يَتَطَهَّرُ

أنحن تركنا قبلة الله شقوة؟
 أنرغب عن دين النبي المصطفى؟
 سيخزي المهيمن كاذبا تارك الهدى
 "وإني أنا الرحمن ناصرُ حزبه" •
 وما كان أن تُخْفَى الحقائق دائما
 وليس خفاءً مغلقً في ديننا
 سيكشف سرُّ صدورنا وصدوركم
 فمن كان يسعى اليوم في الدين مفسدا
 وإنا على نورٍ وأنتم على اللظى
 ومن كان محجوبا فيأتي مؤسوساً
 وما يصطفي الله العليمُ مزوراً
 فذرني وخلقائي ولست مصيطرا
 وآثرني ربي وأحزاك خالقي
 أليست تقاة الله شرطاً لمؤمن
 وعدوت حتى قلت: لست بأب
 أثقتي بما لم يُنزل الله من هدى؟
 والله بل تالله لو كنت مخلصاً
 ولو قبل إكفاري سألت أمانة
 ولكن ظننت ظنوناً سوءً بعجلة

• ورد تحت هذا الشطر: "هذا إلهام من الله تعالى." (الناشر)

وأيَّ حديثٍ بعده نتخيرُ
 وحياته يحيي القلوبَ ويزهَرُ
 ويروي النقيَّ هدىً فينمو ويثمرُ
 فإني رضيعُ كتابه ومُخفَّرُ
 قديرُ فكيف تكذبنَّ وتَهكُرُ
 لتعلم فضلُ الله كيف يُخيرُ
 ليظهرَ علمك في الجدالِ وتُسبرُ
 فيكرم ربي من يشاء وينصرُ
 ويأتيك أمرُ الله فجأً فُتبتَرُ
 فقد لاح أنك خيتَعورٌ مزورُ
 رماحي مثقفةٌ وسيفي مذكرُ
 وأنت تسبُّ هوىً وفي السبِّ تجهرُ
 ونريد حل العقدِ رُحماً فتَحترُ
 وغيثك حمرٌ لكن أنت تُدعَرُ
 وإن الفتى يخشى إذا ما يُدعُرُ
 ومن أكثر التكفيرِ يوما سيكفرُ
 فلا الصخرُ بل إن الزجاجه تُكسرُ
 يدبرُ في قولي وفي الكتبِ ينظرُ
 وما إن أرى شخصا يكفُّ ويحذرُ
 إلأم تكفّرنا وتهجو وتصعُرُ

هل العلم شيء غير تعليم ربنا
 كتابٌ كريمٌ أُحكمتُ آياته
 يدعُ الشقيَّ فلا يمسُّ نكاته
 ومتعني من فيضه لطفُ خالقي
 كريمٌ فيؤتي من يشاء علومه
 وإني نظمتُ قصيدتي من فضله
 تعال بميدان النضالِ شجاعةً
 تريدون ذلتنا ونحن هوانكم
 أتطلب مني آية الخزي والردى
 وحمدتني من قبلُ ثم ذمتني
 وإني أنا الخطارُ إن كنتَ طاعنا
 وإنا جَهْرنا بِئرُ دينِ محمد
 متى نَدُنُ منك ترحمًا تتباعدُ
 وسيلك صعبٌ لكن أنت غثاؤه
 وما إن أرى فيك التخوفَ والتقى
 ومن كذَّب الصديقَ هتَّك سرُّه
 وإن تضربنَّ على الصلَاة زجاجةً
 فهل في أناسٍ مُكفرين مدبرُ
 ووالله إني آيسٌ من صلاحهم
 وقلتُ لشيخٍ قد تقدّم ذكره

تعال نباهلاً في مقامٍ معيّن
 حلفتُ يمينا من لعانٍ مؤكّد
 فإذا أتى بعد الترصّد يومنا
 خرجنا وخلقٌ كان يسعى وراءنا
 فجاء ولكن لم يباهل مخافةً
 ولم يتمالك أن يباهل كالفتى
 وجاشت إليه النفس خوفاً وخشية
 ووجدته بجرّاً وموجسَ خيفةً
 فقلتُ له لما أبي إن حجّتي
 وإن شئتَ سلّ من كان فينا حضرا
 وباهلني من غزنويين مكفّر
 فقمّتُ بصحبي للدعاء مباهلا
 فصعد صرخ الصادقين إلى السما
 فأعجب خلقاً جيشهم وبكاؤهم
 وظلّ المباهل يقذفن مكفراً
 وما الكفر إلا ما يسميه ربنا
 وإنا توكلنا على الله ربنا
 وآخر دعوانا أن الحمد كله

لِيُهْلِكَ مِنْهُ هُوَ كَاذِبٌ وَمَزُورٌ
 فإني بميدان اللعان سأحضر
 فقمّتُ ولم أكسل وما كنت أقصر
 لينظر كيف يباهلن ويكفّر
 وأعرضَ حتى لام من هو يبصر
 وظل يُرينا ظهرَ جُبِنٍ ويُدبر
 وقد خفتُ أن يُغشى عليه ويُحطّر
 كأن حسامي يهجمن ويبتّر
 لقد تمّ والله العليم سيأمر
 وما قلتُ إلا ما هو المتقرّر
 وقوفا لدى شجرات أرض يشجر
 وكان معي ربي يراني وينظر
 لما أخذتهم رقةً وتأثّر
 فبكوا بمبكاهم وقام المحشر
 فيا عجباً من دينهم كيف كفّروا
 فذرهم يسبوا كيف شاعوا ويكفّروا
 وقد شدّ أزرَ العبد ربّ مبشّر
 لربّ يرى حالي وقالي وينصر

القصيدة الثالثة

المباركة الطيبة في نعت رسول الله ﷺ

بك الحولُ يا قيومُ يا منبع الهدى
تتوب على عبد يتوب تندمًا
كبير المعاصي عند عفوك تافهً
تحيط بكنه الكائنات وسرّها
ونحن عبادك يا إلهي وملجئي
وما كان أن يخفى عليك نُحاسننا
وكم من دهيٍّ أهلكتهم من شرورهم
وكم من حقير في عيون جعلتهم
وتعمر أطلالا بفضلٍ ورحمة
وما كان مثلك قدرةً وترحمًا
فسبحان من خلق الخلائق كلها
غيورٌ يُبيد الجرمين بسخطه
فلا تأمنن من سخطه عند رحمه
وإن شاء يبلو بالشدائد خلقه
وحيدٌ فريد لا شريك لذاته
ومن جاءه طوعا وصدقا فقد نجا
له الملك والملكوت والمجد كله

فوفّق لي أن أثني عليك وأحمدا
وتنجي غريقًا في الضلالة مُفسدا
فما لك في عبد ألمّ ترددا
وتعلم منهاج السوى ومُحرّدا
نخرّ أمامك خشيةً وتعبدا
وتعلم ألوان النحاس وعَسجدا
وأخذتهم وكسرت دأيا مُنصّدا
بأعينٍ خلقٍ لؤلؤا وزبرجدا
وتهدّ من قهرٍ منيفاً مُمرّدا
ومثلك ربي ما أرى متفردا
وجعل كشيء واحد متبدا
غفور ينجي التائبين من الردى
ولا تيسن من رُحمة إن تشددا
وإن شاء يُعطيهم طريفاً ومُتلا
قويُّ عليٌّ في الكمال توحّدا
وأدخل وردًا بعد ما كان مُلبدا
وكلُّ له ما لاح أو راح أو غدا

وسواه فقد تبع الضلالة واعتدى
وأرسل رسلا بعد رسل وأكد
وما لي سواك معاون يدفع العدا
وقد مسنا ضرًّا وجئناك للندى
ولا سيما عبدٌ تسميه أحمدًا
وفاقَ قلوب العالمين تعبدًا
وأصاب وابلُه تِلاعًا وجدجدًا
وعرفانُ إبراهيمَ دينًا ومرصدًا
شفيع الورى أحيا وأدى المبعَّد
يُباهون مرَّيجين في سبل الردى
أصرَّ بشقوته على ما تعودا
غيورٌ فأحرق كلَّ دَيْرٍ وجلسدا
كتاب كريم يرفد المسترفيدا
فيعطى له في حضرة القدس سؤددا
ودع كلَّ متبوع بهذا المقتدى
ومن جاءه صدقا فنوره الهدى
ولوحَّ وجه المنكرين وسودا
ولاح علينا وجهه الطلق سرمدا
وكافٍ لنا هذا المتاع تزودا
فأصبحتُ من فيضان أحمدٍ أحمدًا

ومن قال إن له إلهًا قادرا
هدى العالمين وأنزل الكتب رحمةً
وأنت إلهي مأمني ومفازتي
عليك توكلنا وأنت ملاذنا
ولك آيات في عباد حمدتهم
له في عبادة ربه غلِيُّ مرَّجلٍ
ومن وجهه جلِّي بعيدًا وأقربًا
له آيتا موسى وروح ابن مريمٍ
وكان الحجاز وما سواه كميَّتٍ
وكان مكابحةً وفسق شعارهم
فلم يبق منهم كافر إلا الذي
شريعته الغراء مورٌ معبَّد
وأتى بصحف الله لا شك أنها
فمن جاءه ذلا لتعظيم شأنه
فيا طالبَ العرفان خذ ذيلَ شرعه
يزكي قلوب الناس من كل ظلمة
ولما تجلَّى نوره التام للورى
ترأى جمال الحق كالشمس في الضحى
وقد اصطفتُ بمهجتي ذكرَ حمده
وفوضني ربي إلى فيض نوره

وما كان من أطفاه مستبَعدا
 ويعلم ربي أنه كان مرشدا
 سُلالة أنوار الكريم محمد ص
 شفيع البرايا منبع الفضل والهدى
 بتلك الصفات الصالحات بأحمدا
 حكيم بحكمته الجليلة يُقتدى
 ونور أفكار العقول وأيدا
 ذكاء منير بُرجه كان بُرجدا
 شفيع يزكينا ويدني المبعدا
 وفاق جميعا رحمةً وتوددا
 وأعطاه ما لم يُعْطَ أحد من الندى
 فصار به نوراً منيراً وأغيدا
 إلى حزب قوم كان لُدًّا ومفسدا
 وكلُّ تلا بغياً إذا راح أو غدا
 بلادٌ ترى فيها صفيحا مُصمدا
 تُرى كالظلم ثراه أزعر أربدا
 جماعة قوم كان لُدًّا ومفسدا
 ونجّاه عونُ الله من صولة العدا
 ففاضت دموع العين مني بمنتدى
 نشاهد فيها كل يوم تجددا

وهذا من الله الكريم المحسن
 ووالله هذا كله من محمد ص
 وفي مُهْجتي فورٌ وجيشٌ لأمدحا
 كريم السجايا أكملُ العلم والنهى
 تبصّرٌ خصيمي هل ترى من مشاكه
 بشير نذير أمرٌ مانع معاً
 هدى الهائمين إلى صراطٍ مقوم
 له طلعةٌ يجلو الظلام شعاعها
 له درجات ليس فيها مشارك
 وما هو إلا نائب الله في الورى
 تخيّرهُ الرحمن من بين خلقه
 وقد كان وجه الأرض وجهاً مسوداً
 وأرسله الباري بآيات فضله
 ومُلكٍ تَأبَطَ كلُّ شرِّ قومه
 بلوبةً مكة ذاتِ حَقْفٍ عَقَنَقَلِ
 وما كان فيها من زروع ودوحة
 تَكْنَفَ عَقْوَةَ داره ذاتِ ليلة
 فأدركه تأييدُ ربِّ مهيمن
 تذكرتُ يوماً فيه أُخْرِجَ سيدي
 إلى الآن أنوارٌ بَبْرِقَةَ يثرب

فوجهُ المدينة صار منه منورًا
 حفافي جناني نُورًا من ضيائه
 وأرسلني ربي لتأييد دينه
 له صُحبةٌ كانوا مجانينَ حُبِّه
 وأروا نشاطًا عند كل مصيبة
 وإذا مُرِّبنا أهابَ بغنمه
 وكان وصال الحق في نياتهم
 ورأوا حياة نفوسهم في موتهم
 وجاشت إليهم من كربِ نفوسهم
 فظلوا ينادون المنايا بصدقهم
 وفاضت لتطهير الأناس دماؤهم
 وأحيوا لياليتهم مخافةً ربهم
 تناهوا عن الأهواء خوفاً وخشية
 تلقوا علوماً من كتاب مقدس
 كنوق كرائم ذاتِ خُصلٍ تجلّدوا
 أتعرف قوماً كان ميتاً كمثلهم
 فأيقظهم هذا النبي فأصبحوا
 وجاءوا ونورٌ من وراء يسوقهم
 ولو كُشف باطنهم نرى في قلوبهم
 تداركهم لطفُ الإله تفضلاً

وباركَ حُرَّ الرملِ وطناً وقرّدا
 فأصبحتُ ذا فهمٍ سليمٍ وذا الهدى
 فجئتُ لهذا القرن عبداً مجدداً
 وجعلوا ثرى قدميه للعين إثمداً
 كعوجاءَ مرقالٍ تُوارى تحدداً
 فراعوا إلى صوتِ المهيبِ تودداً
 وخطرأتم فلأجله مدّوا اليدا
 فجاءوا بميدان القتال تجلداً
 وأنذرهم قوم شقيّ تهلداً
 وما كان منهم من أبي أو تردداً
 من الصدق حتى آثر الخلق مرصداً
 وأذابهم يومٌ يُشيبُ ثوهداً
 وباتوا لمولاهم قياماً وسجداً
 حكيم فصافاهم كريم ذو الندى
 وتربّعوا كلاءَ الأسرة أغيذاً
 نؤوماً كأموات جهولا يَلندداً
 منيرين محسودين في العلم والهدى
 إليه ونورٌ من أمامٍ مُقوداً
 يقيناً كطبقات السماء مُنصّداً
 وزكى بروح منه فضلاً وأيدا

بعلم وإيمان ونور وبالهدى
 فدَى لك رُوحِي يا مُحَمَّدٌ سرمدًا
 فأحرقَت بدعات وقومَت مرصدًا
 فوَاهًا لِمُنْجِ خَلَصَ الخَلْقِ مِن رَدَى
 ومثلك رجلا ما سمعنا تعبدًا
 وما ضاعت الدنيا إذا الدين شُيِّدًا
 لكي تُنقذ الإسلام مِن فتن العدا
 فيا ليت لي كانت بلادك مولدا
 وكيف يُكفِّرُ مِن يوالي محمداً
 أضلُّ كثيرا بالشرور وبَعدا
 وقد وعد جزماً ثم نكث تعمدا
 كأخذك من عادى ولياً وشددا
 تباعد من حق صريح وأبعدا
 وكان رضى الباري أهم وأوكدا
 وفي الله عاديناه إذ حال مرصدًا
 أيلعن من أحيا صلاحا وجددا
 أهذا مقال يجعل البرر ملحدًا؟
 فإن كان فأتوني بتلك تجلدا
 وقد ضل سعيًا من قلى دين أحمدًا
 بيوم يسود وجه من كان مفسدا

ففاقوا بفضل الله خلقَ زمانهم
 وهذا من النور الذي هو أحمدٌ
 أمرت من الله الذي كان مرشدا
 وجئت لتنجية الأنام من الهوى
 وتورمت قدماك لله قائما
 جذبت إلى الدين القويم بقوة
 وأرسلك الباري بآيات فضله
 يحب جناني كل أرض وطئتها
 وأكفرتني قومي فجتتك لاهفا
 عجبتُ لشيخ في البطالة مفسد
 سلوه يمينا هل أتاني مباحلا
 فخذ يا إلهي مثل هذا المكذب
 أضلُّ كثيرا من صراط منور
 قد اختار من جهل رضاء خلائق
 وما كان لي بغضٌ وربِّي شاهدٌ
 يسب وما أدري على ما يسبني
 نعم نشهدن أن ابن مريم مَيِّتٌ
 وهل من دلائل عندكم تُؤثرونها
 أنحنُ نخالف سبلَ دينِ نبينا؟
 سيكشف سرُّ صدورنا وصدوركم

فِيحْرَقُ فِي يَوْمِ النُّشُورِ مُزَوِّدًا
 أَتَخْشُونَ لَوْمَةَ حَيْكِمٍ وَمُفَنِّدًا
 فَحَصَّتْ بِإِذْنِ اللَّهِ ثَوْبًا مُقَدِّدًا
 وَوَطَّأَتْ ذَوْقًا أَمْعَزًا مَتَوَقِّدًا
 عَلِيمٍ رَأَى مَسْتَهَامًا فَأَيَّدَا
 وَأَيَّدَنِي رَبِّي وَمَا ضَاعَنِي سُدَى
 وَمَا كَانَ هَجَسٌ بَلْ سَمِعْتُ مُنَدِّدًا
 مَخَافَةَ قَوْمٍ لَا يَرِيدُونَ مَرَصِدًا
 وَرَبِّي يَرَى هَذَا الْجَنَانَ الْمَجْرَدًا
 يِلَاحِظُهَا مِنْ زَادِهِ اللَّهُ فِي الْهَدَى
 يُكْفِّرُ مَنْ جَاءَ الْأَنَامَ مُجَدِّدًا
 وَمِثْلِكَ جَهْلًا مَا رَأَيْتُ ضَفَنْدَدًا
 وَدَافَى رُؤُوسَ الصَّائِلِينَ وَأَرْجَدَا
 وَيِيدُوا لَكُمْ آيَاتُنَا الْيَوْمَ أَوْ غَدَا
 لَمَا كَانَ لِي حَوْلٌ لِأَمْدَحِ أَحْمَدِاص
 حَرِيصٌ عَلَى سَبِّ وَأُلُوى كَالْعَدَا
 وَكَمْ مِنْ تَكَالِيفٍ سَمَّتْ تُودُّدَا
 وَهَوْلٌ كَلِيلِ السَّلْخِ يُبِيدِي تَهْدُّدَا
 وَخَوْفٌ كَأَصْوَاتِ الصَّرَاصِرِ قَدْ بَدَا
 وَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَزِيدَ تَشَدُّدَا

فمن كان يسعى اليوم في الأرض مفسدا
 أليس تقاة الله فيكم كذرة؟
 وقد كان ربي قدّر الأمر رحمة
 رأيتُ تعيظكم فلم آل حجة
 ولستُ بذِي علم ولكن أعاني
 ووالله إني صادق غيرُ مفترٍ
 وما قلتُ إلا ما أمرتُ بوحيه
 أأكتُمُ حقًا كالمداجي المخامرِ
 تعالى مقامي فاختمني من عيونهم
 وفي الدين أسرار وسبلٌ خفية
 وهذا على الإسلام أدهى مصائبٍ
 أتكفّر رجلا قد أنار صلاحه؟
 أتكفّر رجلا أيّد الدين حجة
 أنحن نفرّ من الرسول ودينه؟
 ووالله لولا حُبُّ وجه محمد ص
 ففي ذلك آياتٌ لكلّ مكذبٍ
 وكم من مصائبٍ للرسول أذوقها
 وغمٌّ يفوق ظلامَ ليلٍ مظلمٍ
 وضُرٌّ كضربِ الفأس أصلت سيفه
 فأسألم تلك المحن من ذوق مُهيجتي

وموتي بسبل المصطفى خيرٌ مِيتةٍ
 سأدخلُ من عشقي بروضَةِ قبره

فإنْ فزْتُها فسأُحشِرَنَّ بالمقتدى
 وما تعلم هذا السرُّ يا تاركَ الهدى

القصيدة الرابعة

ألا أيها الواشي إلامَ تكذبُ
وآليتُ أني مسلمٌ ثم تُكفرُ
ألا إني تبرُّ وأنت مُذهَّبُ
ألا إني في كل حرب غالبُ
وبشَّرني ربي وقال مبشِّرًا
ونعمني ربي فكيف أرده
وسوف ترى أني صدوقٌ مؤيدُ
وييدي لك الرحمن أمري فينجلي
يرى الله ما هو محتف في قلوبنا
ويعلم ربي من هو الشرُّ منزلاً
إلامَ ترى زوراً كصدقٍ ممحَضُ
وقاسمتهم أن الفتاوى صحيحةٌ
وهل لك من علمٍ ونصٍّ محكم
كمثلك أممٌ قد أيدوا بذنبهم
أثغدف في حربي قناعاً دوننا
وما البحث إلا ما علمت وذقته
وما في يديك بغير فلسٍ مُذهَّبُ
وشاهدتُ أنك لست أهلٌ معارفٍ

وَتُكْفِرُ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ وَتُؤْتِبُ
فَأَيْنَ الْحَيَا أَنْتَ أَمْرُؤُ أَوْ عَقْرَبُ؟
أَلَا إِنِّي أَسَدٌ وَإِنَّكَ ثَعْلَبُ
فَكِدْنِي بِمَا زَوَّرْتَ وَالْحَقُّ يَغْلِبُ
سَتَعْرِفُ يَوْمَ الْعِيدِ وَالْعِيدُ أَقْرَبُ
وَهَذَا عَطَاءُ اللَّهِ وَالْخَلْقُ يَعْجَبُ
وَلَسْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ مَا أَنْتَ تَحْسَبُ
أَهَذَا ظَلَامٌ أَوْ مِنْ اللَّهِ كَوَكْبُ
فِيْفَضَّحَ مِنْ هُوَ كَاذِبٌ وَيَكْذِبُ
وَمَنْ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ بَرٌّ مَقْرَبُ
وَتَسْتَجَلِبُ الْحَمَقَى إِلَيْهِ وَتَجْذِبُ
وَعَلَيْكَ وَزُرُّ الْكَذِبِ إِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ
عَلَى كَفَرْنَا أَوْ تَخْرِصَنَّ وَتَتَّعِبُ
فَتَحَسَّسَنَّ مِنْ نَيْبِهِمْ مَا أُعْقِبُوا
وَتَتْرِكُ مَا أَمَّمْتَ جُبْنًا وَتَهْرَبُ
وَتَلِكُ وَهَادٌ لِلْمَنَايَا تُقَوِّبُ
تُضِلُّ أُمَيْمًا بِالسَّرَابِ وَتُخْلِبُ
وَتَلْهَوُ وَتَهْذِي كَالسَّكَارَى وَتَلْعَبُ

متى نُبِدَ أخلاقاً فُتِبِدَ ذميمةً
وعاديتي وطويتَ كَشْحاً على الأذى
وكنتَ تقول سَأغلبنَّ بحجتي
ولستُ بَعادُ مسرف بل إنني
وإني أَمَامَ اللَّهِ في كل ساعة
فإن كنتَ عَاديتَ الخبيثَ تَدِينُنَا
وإن كنتَ قد جاوزتَ حَدَّ تَوَرُّعٍ
فسوف تَرى في هذه ضَرْبَ ذَلَّةٍ
وَمَن كَانَ لَاعِنَ مُؤْمِنٍ مَتَعَمِدًا
أَتَأمر بالتقوى وتَفعلُ ضده
ولي لك في أعشار قلبي لوعةٌ
ألا أيها الشيخ اتقِ اللَّهَ الذي
إذا ما تَوَقَّدَ قَهْرُهُ يَهلك الورى
أتعوي كمثل الذئب وَاللَّهِ إنني
وما إن أرى في خيط كبدك قوَّةً
ألم تعرفنُ رُؤيَايَ كيف تحققت
ويأتينك من آثار صدقي بكثرة
فإن كنتُ كَذَابًا فَأنتَ مِنَعَمٍ
أَتكفّرني في أمر عيسى تجاسراً
تُوفِّي عيسى هكذا قال ربنا

وتترك ما هو مستطابٌ وأطيبُ
ورميتَ حقداً كل ما كنتَ تَجْعَبُ
وما كنتَ تَدري أنك اليوم تُغلبُ
عروفٌ على إيدائكم أُتَجَبُّ
وينظر ربي كل ما هو أكَسَبُ
فُتَكْرَمُ عندَ مَلِيكِنَا وَتُقَرَّبُ
وقفوتَ ما لم تعلمنَّ فُتَعْتَبُ
ويومُ نكالِ اللَّهِ أُحزى وأعطبُ
فعليه ذَلَّةٌ لعنة لا تَنكُبُ
وتنكثَ عهداً بعد عهدٍ وتَهْرُبُ
فكفّرَ وكذّبَ إنني لستَ أَعْضَبُ
يهدّ عماراتِ الهوى وَيَجْرِبُ
فما حِصِّصَ مِن ابنِ حُسامٍ يَعْضَبُ
أراك كأنك أَرنبٌ أو ثعلبُ
ويُصلحُ ربي ما تَهْدُ وتَشْعَبُ
وأصدقُ رُؤيَا مؤمنٍ لا يُكذّبُ
فليرقُبُنْ أوقاتها المترقُبُ
وإن كنتُ صَدِيقاً فسوف تُعذّبُ
وكذبتني خطأً ولستَ نُصوبُ
صريحاً فصدّقنا ولا نتريبُ

وكيف نكذب آيةً هي قوله
 نَهَى خالقي أن نُحْيِيَنَّ ابنَ مريمٍ
 ولم يبق لي في موته ريحٌ ريبة
 أقول ولا أحشى فإني مثيله
 ووالله إني جئتُ حين مجيئه
 وقد جاء في القرآن ذكرُ وفاته
 ولو كان في القرآن أمرٌ خلافه
 ولكن كتاب الله يشهد أنه
 أمِن غير منبِع هديه نطلب الهدى
 فنؤمِّن بالله الكريم وكتبه
 ويعلم ربي كلَّ ما في عَيْبِي
 وهذا هدى الله الذي هو ربنا
 وإن سراجي قوله وكتابه
 وإن كتاب الله بحرُ معارف
 وكم من نكاتٍ مثل غيدٍ تَمَتَّعْتُ
 إذا ما نظرتُ إلى ضياءِ جماله
 رأيتُ بنورٍ نورَه فتبيَّنتُ
 يصدُّ عن الطغوى ويهدي إلى التقى
 يجرُّ إلى العليا وجاء من العلى
 وسرُّ لطيفٍ في هداه ونكتةٌ

وتصديق كلمته أهمُّ وأوجبُ
 وتلك التي كَفَرْتَ منها وتَنَصَّبُ
 لما ألهمني ملكٌ صدوقٌ مؤوَّبُ
 ولو عند هذا القول بالسيف أُضْرَبُ
 وهو فارسٌ حقاً وإني مُحَقَّبُ
 وما جاء فيه هو الذي هو أصوبُ
 لآثرته ديناً ولا أُتَجَنَّبُ
 تناوَلَ من كأسِ المنايا فتعجَبُ
 وكلُّ من الفرقان يُعطى ويوهبُ
 فأين بحقدك يا مكفراً تذهبُ
 عليهم فلا يخفى عليه مغيبُ
 فإن كنتَ ترغَبُ عن هدى لا ترغَبُ
 فإن أعصه فسناه من أين أُطَلَّبُ؟
 ونجدن فيه عيون ما نستعذبُ
 بها مُهَجِّجِي من هدي ربي فجرُّوا
 فإذا الجمال على سنا البرق يغلبُ
 عليَّ حقائقه ففيها أُقَلَّبُ
 خفيرٌ إلى طرق السلامة يجلبُ
 كما هو أمرٌ ظاهرٌ ليس يُحجَّبُ
 كنجمٍ بعيد نورها تتغيبُ

ومن يأتيه يُقبَلُ ومن يُهدَى قلبه
 يُضيء القلوب ويدفعن ظلامها
 فقلتُ له لما شربتُ زلاله
 وكم من عميٍّ قد كشفتَ غطاءهم
 ألا ربَّ خصمٍ خاضَ فيه عداوةً
 وإن يفتحن عينيك وهابُ الهدى
 وأنى لعقل الناس نور كنوره
 ووالله يجري تحته نهرُ الهدى
 ومن يمعن الأنظار في ألفاظه
 ومن يطلب الخيرات فيه ينلنه
 ومن يطلبن سبل الهدى في غيره
 ومن يعص فرقاناً كريماً فإنه
 وما العقل إلا خبط عشواء ما يصبُ
 ومهما تكن من عين ماء بارد
 وقد جئتُ بالماء المعين وعذبه
 وسوف يريك الله نورَ تطهري
 خف الله عند الطعن في أوليائه
 تعال وتب مما صنعتَ فإنني
 ولستُ مدعثرٌ من جفا بل إنني
 وفي السلم والإسلام إني سابقٌ

إلى مأمن الفرقان لا يتذبذبُ
 ويشفي الصدور سواده ويهدبُ
 فدَى لك رُوحِي أنت عيني ومشرَبُ
 ونجيتهم عما يعفِي ويشعبُ
 فألهاه عن حوض سناه المؤنبُ
 فكأين ترى من سره لك معجبُ
 وإن النهي بيانه يتهدبُ
 ومن أكثر الإمعان فيه فيشرَبُ
 فإلى سناه التام يصبُ ويسحبُ
 ويرى اليقين التام والشكُّ يهربُ
 يكن سعيه لعنا عليه فيعطبُ
 يُطع السعيرَ وفي الجحيم يُقلبُ
 يجده وما يُخطي فيهدي ويلعبُ
 تراه حثيثاً عينُ صاد فيشرَبُ
 فأين النهي لا تشرَبن وتثرَبُ
 ويريك من منا صدوق وطيبُ
 أولئك قومٌ من قلاهم فيشجبُ
 أصانعٌ من يتلق حبا وأصحابُ
 عروفٌ على إيدائكم أتحبُّ
 وإذا تراميتم فسهمي مثقبُ

وإذا تطاعنتم فرمحي مُدْرَبُ
 وإن يخفَ في غار عميق فَيُتَعَبُ
 وعليك سبل الرفق والرفقُ أَعْدَبُ
 فسوف ترى يوماً إلى ما تُقَلِّبُ
 وما ينفَعُنْ بعد الغزاة تُصِيبُ
 من الله في أمري وأنت مكذِبُ
 فدَعُ ما يلازمه عدوُّ مُحْيَبُ
 أَلَيْتَ جهلاً حلفةً فُتْشَرَّبُ
 فإن شاء ربي تُرْزَقَنَّ فُتْحَضَبُ
 لدى عينِ إحياءِ تموت وتُتَعَبُ
 فما لك تدري سَمَّ ذنبٍ وتُذنبُ
 وإن غداة البين أدنى وأقربُ
 فأبادهم ربُّ قديرٍ معدَّبُ
 وما إن أرى عنك الغواية تُسَلَبُ
 وإني بفضل الله رجلٌ مهذبُ
 فبنوره الأجلَى إلى الحق أنذبُ
 وتُذعرنا من جورِ خلقٍ وتُرْعَبُ
 يُزَلُّ الغلامَ الخفرَ بَكَرٌ هوزَبُ
 على الأشقياء وكلِّ أمرٍ مرتبُ
 فسوف يُريهم ربنا ما كذبوا

وإذا تضاربتم فسيفي قاطعُ
 وإن الزور لا ينجيه مكره
 تذكَّرْ نصيحةَ غزنويِّ صالح
 وكم من أمور الحق قلبت جراً
 وإن كنتَ ذا علم فأرني كماله
 وإني على علم وزدتُ بصيرةً
 خفَ اللهُ حَزَمًا يا ابنَ مرءٍ أحبني
 وما يَمْنَعُنْكَ من رجوع وتوبة
 وإن كنتَ ذا عسر وضمُرٌ مُعَيَّلًا
 ووالله إن شقاك هيج لي البكا
 ألا تعرفنْ قصص الذين تمرّدوا
 أتمادُ بين الأقربين كباطر
 ومثلك جاف قد خلا ومكذِبُ
 سيسلب منك الضعفُ والشيبُ قوَّةً
 فأكفرُ وكذبُ أيها الشيخ دائماً
 وألهمني ربي وأعطى معارفاً
 أتغفل من قهر الحسيب وأخذه
 نجاتك من جذبات نفسك مشكلُ
 إلى الله مرجعنا فيظهر خبأنا
 فقد كذبوا بالحق لما جاءهم

فصبروا على ما كُذِّبُوا وَتَرَقَّبُوا
 أُسْفَ وَجوهَهُ قلوبِهِمْ ما قَلَّبُوا
 وَأَمَّهُمُ الشَّيْخُ السَّفِيهَ المَعْجَبُ
 وَيَعْتَامُنِي رَبِّي عَلَيْهِم وَيَصْحَبُ
 وَلِحَرْبِ أَعْدَاءِ الهُدَى أَتَاهِبُ
 وما تُبَسِّلُ نَفْسٌ قَبْلَ وَقْتِ يُكْتَبُ
 وَيَعْلَمُ ما نَدَعَنَ وما نَحْنُ نَكْسَبُ
 إِذا اذَّارَكُوا لِنِضالِهِمْ وَتَحَزَّبُوا
 فَمِنْهُمْ كَنعَبانَ وَمِنْهُمْ عَقْرَبُ
 وَفِي اللَّهِ ما نُؤَدَى وَنُرمَى وَنُجذَبُ
 فَإِنَّ لَمْ يَنْلُنَا العِزُّ فَالذَّلُّ أَطيبُ
 وَفِي كُلِّ أَوْقاتِي إِلى اللَّهِ أُجَلَبُ
 وَلغِيرِهِ مِني القَلابُ وَالنَّجَبُ
 وَفِي كُلِّ آناً مِنْ هَوَى أَتَغْرَبُ
 وَعَنْ كُلِّ ما هُوَ غَيرُ رَبِّي أَرْغَبُ
 تَرى، إِنَّ تُتَبُّ، مِني الهَوَى وَالنَّجَبُ
 فَأَخْتارُ نَهِجِ العَفْوَ وَالقَلبُ مَغْضَبُ
 وَإِني بِالْأَمِي عَذيقُ مُرْجَبُ
 وَلَكِنْ أَمامُ اللَّهِ تَعْصِي وَتُذنبُ
 وَأَعْطاني الرِّحْمانَ ما كُنْتُ أَطْلَبُ

وَقَدْ كُذِّبْتُ قَبْلِي عِبادُ ذِوِ التَّقْوى
 فَلِما نَسُوا فِحواءَ ما ذُكِّروا بِهِ
 تَحامُونَ بِالْحَقْدِ المَدْمُرِّ كُلَّهُمْ
 وَكِيفَ أَحافَ عِنادَ قَوْمِ مَفنَّدِ
 فَأَبْغِي رِضا رِبي وَما أَحشى العِدا
 وَلِكُلِّ نَبأٍ مَسْتَقَرٌّ مَعينٌ
 وَإِنْ هُدَى اللَّهُ العَلِيمُ هُوَ الهُدَى
 وَيَدْرِي أَناسًا كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 قَلابِي الوَرى حَتَّى الأَقارِبُ كُلَّهُمْ
 وَما نَتَّقِي حَرًّا بِتِلْكَ الهِواجِرِ
 وَإِني بِحَضْرَتِهِ أَموتُ بِفَضْلِهِ
 أَلّا كُلُّ مَجْدٍ قَدْ طَرَحْتُ كَجِيفَةٍ
 وَإِليهِ أَسعى مِنَ جِنايِ وَمُهِجَتِي
 وَإِني أَعيشُ بِهَذِهِ كَمِساغِرِ
 وَما لِي إِلى غَيرِ المَهِيمِنِ رِغْبَةٌ
 أَلّا أَيُّها الشَّيْخُ الَّذِي يَتَجَنَّبُ
 وَلَسْتُ بِراضٍ أَنْ الأَعِنَ لاعِنًا
 رَأيتُ بِساغِينِ الهُدَى مِنَ تَذَلُّ
 تَسبُّ وَإِنْ أَعذِرَكَ فِما تَسبُّني
 تَصولُ عَلَيَّ لَهْتِكَ عَرَضِي وَأَعْتَلِي

وتَهْدِي كَأَنَّكَ بِالْهَرَاوِي تُضْرَبُ
 وَيُلَاعَجَنَّكَ شَأْنُنَا الْمُرْتَقِبُ
 فَلَا الْقَلْبَ إِلَّا جَهْرَةً تَتَلَهَّبُ
 تَعَاشِيْبُ أَرْضِي خُلَّةً وَتَجُبُّ
 أَقْوَلُكَ قَوْلُ أُمِّ سِنَانٍ مُدْرَبُ
 تَنْدَمُ فَقَدَفَاتِ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ
 وَمَا يَعْطِيَنَّ الرَّبُّ أَفَأَنْتِ تَسْلُبُ
 وَمَا يَتْرُكَنَّ سَيْفُ فَبِالرَّفَقِ يُجَلَبُ
 وَوَاللَّهِ إِنْ السَّلْمَ أَحْلَى وَأَعَذَبُ
 فَلَهُ دَوَاهِي الدَّهْرِ نِعْمُ الْمُؤَدَّبُ
 لِكُلِّ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَأْيٍ وَمَذْهَبُ
 فَلَا زَلْتُ فِي نِعْمَائِهِ أَتَقَلَّبُ
 وَبَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ بَدْرٌ وَكَوْكَبُ
 يُرِي وَجَهَ نَوْرٍ بَعْدَ نَوْرِ يَذْهَبُ
 نَجُومِ السَّمَاءِ تَبْدُو إِذَا الشَّمْسُ تَغْرُبُ
 وَإِنْ الْفَتَى عِنْدَ التَّجَاسِرِ يَرْهَبُ
 وَشَوْكُ الْفِيَاثِي مِنْهُ أَشْهَى وَأَطْيَبُ
 وَيُرْخِي الْمَهِيْمَنَ حَبْلَهُ ثُمَّ يَجْذِبُ
 صَدَدَتْ وَتَبْدِي كُلَّ حَبْثٍ وَتَثْلِبُ
 مَقَابِرُ أَمْوَاتٍ وَأَرْضٌ سَبَّاسِبُ

تَرَى عَزَّتِي يَوْمًا فَيَوْمًا فَتَنْشَوِي
 أَرَى أَنْ نَشْزِي فِيكَ كَالرَّمْحِ لَاعْجُ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَلْبِ غَيْرُ تَعْيِظٍ
 وَلَا تَحْسَبَنَّ قَلْبِي إِلَى الضَّغْنِ مَائِلًا
 كَمَثَلِكَ عَادَ مَا رَأَيْتُ وَلَا عِنَّا
 أَرَدْتَ وَبَالِي لَكِنْ اللَّهُ صَانِي
 وَلَسْتَ عَلِيٍّ مُسَيِّطَرًا أَوْ مُحَاسِبًا
 تَرَفَّقْ فَإِنَّ الرَّفَقَ لِلنَّاسِ جَوْهَرُ
 وَلَا تَشْرَيْنِ جَهْلًا أُجَاجَ عِدَاوَةٍ
 وَمَنْ كَانَ لَا يَتَأَدَّبَنَّ مِنْ نَاصِحٍ
 أَيَا لَاعِنِي مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الْهَوَى
 عَلِيٍّ لِرَبِّي نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ
 وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ شَمْسٌ مُنِيرَةٌ
 جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ رَبَّنَا
 كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا نَرَى قَانُونَهُ
 خَفَّ اللَّهُ يَا مَنْ بَارَزَ اللَّهُ مِنَ الْهَوَى
 وَلَا تَطْلُبَنَّ رِيحَانَ دُنْيَاكَ حَسَنَةً
 يَزِيدُ الشَّقِيَّ شَقَاوَةً طَوَّلُ أَمْنِهِ
 إِذَا مَا قَصَدَتْ إِشَاعَةُ الْحَقِّ فِي الْوَرَى
 وَأَنْتِ تَرَى الْإِسْلَامَ قَفْرًا كَأَنَّهُ

على صُحُفِ مَوْلَانَا وَكُلِّ يَكْذِبُ
 بِهِ الطِّفْلِ يَلْهُو مِنْ عِنَادٍ وَيَجْدِبُ
 فَهَذَا عَلَى الْإِسْلَامِ يَوْمٌ عَصَبَصَبُ
 فَتَذْرِفُ عَيْنُ الرُّوحِ وَالْقَلْبُ يَشْحَبُ
 فَلِي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ لَعْنٌ مَرَكَبُ
 وَمِنْ بَابِ خَلْقِ الْوَرَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟
 وَيَسْقِينِ مِنْ كَأْسِ الْوَصَالِ فَأَشْرَبُ
 غَفُورٌ فَيَغْفِرُ زَلَّتِي حِينَ أُذْنِبُ
 وَعَذَابُ شَوْكٍ مِنْهُ عَذْبٌ وَطَيْبُ
 وَمَنْ يَنْزَلَنْ عَنْ فَرَسٍ كَبِيرٍ يَرْكَبُ
 وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَدَا وَيَقْرَبُ
 وَإِنْ الْفَتَى فِي سُؤْلِهِ لَا يَلْعَبُ
 وَلَوْلَا مَا تُبْنَا وَلَا نَتَقْرَبُ
 لَهُ لِمَعَاتٍ زَالَ مِنْهَا الْغَيْهَبُ
 وَلَهُ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ مَعْقَبُ
 كَمَا فِي الزَّمَانِ نَشَاهِدُنْ وَنَجْرَبُ
 فَوَابِلُهُ فِي كُلِّ قَرْنٍ يَسْكَبُ
 وَقَدْ فَاقَ أَحْلَامَ الْوَرَى أَفْتَعَجَبُ
 وَلَيْسَ كِرَاعِي الْغَنَمِ يَرَعِي وَيَحْلَبُ
 وَكُلُّ بَعِيدٍ مِنْ هِدَاةٍ يُقْرَبُ

تَصُولِ الْعِدَا مِنْ جَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ
 وَهَدْيٍ كَسَمَطِي لَوْلُو وَزَبْرَجِدِ
 وَمِنْ كُلِّ طَرَفٍ تَمَطَّرَنَّ سَهَامُهُمْ
 نَرَى هَذِهِ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ بَعِينَا
 فَقَمْتُ فَعَادَانِي عِدَايَ وَمَعَشْرِي
 وَلَمْ يَبْقُ إِلَّا حَضْرَةُ الْوَتْرِ مَلْجَأُ
 فَإِنْ مَلَاذِي مُسْتَعَانٌ يَجْبِي
 غَيُورٌ فَيَأْخُذُ رَأْسَ حَصْمِي إِذَا اعْتَدَى
 وَإِنِّي بَرِيءٌ مِنْ رِيَاحِينَ غَيْرِهِ
 يَحِبُّ التَّذَلُّلَ وَالتَّوَاضِعَ رَبَّنَا
 وَلِلصَّابِرِينَ يُوَسِّعُ اللَّهُ رَحْمَهُ
 تَعَرَّفْتُهُ حَتَّى أَتْتَنِي مَعَارِفُ
 رَأَيْنَاهُ مِنْ نُورِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 لَهُ دَرَجَاتٌ فِي الْمَحَبَّةِ تَامَةٌ
 ذُكَاةٌ مَنِيرٌ قَدْ أَنْارَ قُلُوبَنَا
 وَفِي اللَّيْلِ بَعْدَ الشَّمْسِ قَمَرٌ مَنُورٌ
 وَاللَّهُ أَطَافٌ عَلَيَّ مِنْ أَحَبِّهِ
 وَشِيمَتُهُ قَدْ أُفْرِدَتْ فِي فِضَائِلِ
 وَرَعَى وَآتَى الصَّحْبَ لَبْنَا سَائِعًا
 وَلَيْسَ التُّقَى فِي الدِّينِ إِلَّا اتِّبَاعُهُ

ولو كان ماءً مثل عسلٍ بطعمه
مدحتك يا محبوبٍ من صدقٍ مُهْجتي
وإنا لَجئنا في عطائك راغبًا
ووالله حُبُّك للنجاة لمؤمنٍ
وآثرتُ حُبَّك بعد حبِّ مهيمي
ونستصغر الدنيا وخضراءها معًا
ألا أيها الشيخ الذي أكفرتني
فتلك بعون الله مني قصيدةٌ
وهذي ثلاثٌ قد نظمنا وهديّةٌ
فإن كنتَ ذا علمٍ فآتِ نظيرها

فوالله بحرُ المصطفى منه أعذبُ
ولولاك ما كنّا إلى الشعر نرغبُ
ومن جاء بابك سائلًا لا يُثربُ
دليلٌ وعنوانٌ فكيف نُخيّبُ
وتُصبي جناني من سناك وتجلبُ
فلا نجتني منها ولا نُستحلبُ
وإني بزعمك كافرٌ ثم هيدبُ
محبّرةٌ ونظيره منك أطلبُ
ببحرٍ خفيفٍ للأحباء أنسبُ
وإن تعجزنُ جهلاً فكبرك أعجبُ

تفسير سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خضعت الأعناق لكبريائه، وتحيرت الأبصار من مجده وعلائه، المقدس عن الأنداد والأضداد والشركاء، المنزه عن الأشباه والأقران والنظراء. هو الذي أرسل رسلاً لإصلاح الورى، ونجى كل من قفا أثرهم واقتدى، واختار من اختار مهيعهم وتبعهم وما انتنى، فرضي عنه وتنى. والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء، محمد المصطفى الذي هو سيد قوم انكسرت إرادتهم البشرية، وأزيلت حركاتهم الطبيعية، وجرت في بواطنهم الأجر الروحانية، ونفخ الله فيهم روحه ووالى وصافى. هو إمام مصاليت الله الذين خيَّبوا شيطاناً ذا المكائد، حتى أخفق إخفاق الصائد، وهو الذي كف عن العيث والنزء ذيباً أكل غنم أنبياء بني إسرائيل، ونسأ إلى الحق وعصم وهدى، فالسلام على هذا الجريّ البطل المظفر في الأولى والأخرى.

أما بعد.. فاعلم أرشدك الله تعالى أن هذا الكتاب بُلغة لكل من أراد أن يسلك في حدائق فاتحة الكتاب، ويعلم حقائق نكاته وشاحنة معارفه على نهج الصواب. وكل ما أودعته من درر البيان، فإني تفردت به من مواهب الله الرحمن، وفهمت من الملهم المتان، وليس

فيه شيء من لُفاظات موائد المتقدمين، ولا من خُشارة ملفوظات السابقين، وخُثارِ الماضين، إلا النادر الذي هو كالمعدوم، وما عدا ذلك فهو من ربي الذي أسبغَ عليَّ من باكورة العطاء، وألهمني من نكاتٍ ما لم تعطَ أحد من العلماء، ليشدَّ أزرِي ويضع عني وزْرِي، ويؤيدي في إزراء القادحين، ويُتمَّ حجِّي على المنكرين المستكبرين. فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، هو ربنا وملجأنا، إنا تُبْنَا إليه وهو أرحم الراحمين.

واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أنا تركنا تفسير البسملة، ولم نكتب فيه شيئاً، لأن تفسير الفاتحة قد أحاطت * بتفسيرها، وأغنى عنها بيان مبين. والآن نشرع في المقصود متوكلين على الله النصير المعين.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

هو الثناء باللسان على الجميل للمقتدر النبيل على قصد التبجيل، والكامل التام من افراده مختصُّ بالرب الجليل، وكل حمدٍ من الكثير والقليل، يرجع إلى ربنا الذي هو هادي الضال ومُعزِّ الذليل، وهو محمود المحمودين.

* يبدو أن الثناء زيدت هنا سهواً، والصحيح: "أحاط". (الناشر)

والشكر يُفارق الحمدَ بخصوصيته بالصفات المتعدية عند أكثر العلماء، والمدحُ يفارقه في جميلٍ غير اختياريٍّ كما لا يخفى على البُلغاء والأدباء الماهرين.

وإن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء، لأن الحمد يُحيط عليهما بالاستيفاء، وقد ناب منابهما مع الزيادة في الرِّفاء وفي التزيين والتحسين. ولأن الكُفَّار كانوا يحمدون طواغيتهم بغير حق، ويؤثرون لفظ الحمد لمدحهم ويعتقدون أنهم منبع المواهب والجوائز ومن الجوادين؛ وكذلك كان موتاهم يُحمدون عند تعدد النوادب، بل في الميادين والمآدب، كحمد الله الرازق المتولي الضمين؛ فهذا ردُّ عليهم وعلى كل من أشرك بالله وذكرٌ للمتوسِّمين. وفي ذلك يلوم الله تعالى عبدة الأوثان واليهود والنصارى وكل من كان من المشركين. فكأنه يقول أيها المشركون.. لِمَ تحمدون شركاءكم وتطرون كبراءكم؟ أم أربابكم الذين ربوكم وأبناءكم؟ أم هم الراحون الذين يرحمونكم ويردون بلاءكم، ويدفعون ما ساءكم وضراءكم، ويحفظون خيراً جاءكم، ويرحضون عنكم قشفاً الشدائد ويداؤون داءكم، أم هم مالكُ يوم الدين؟ بل الله يُربي ويرحم بتكميل الرفاء، وعطاء أسباب الاهتداء، واستجابة الدعاء، والتنجية من الأعداء، وسيعطي أجر العاملين الصالحين.

وفي لفظ "الحمد" إشارة أخرى وهي أن الله تبارك وتعالى يقول أيها العباد اعرفوني بصفاتي، وتعرفوني بكَمالاتي، فإني لست

كالناقصين، بل يزيد حمدي على إطراء الحامدين، ولن تجد محامداً لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي، وإن أردت إحصاء محامدي فلن تحصيها، وإن فكرت بشقّ نفسك وكلفت فيها كالمستغرقين. فانظر هل ترى من حمد لا يوجد في ذاتي؟ وهل تجد من كمال بُعدّ مني ومن حضرتي؟ فإن زعمت كذلك فما عرفني وأنت من قوم عمين. بل إنني أعرف بمحامدي وكمالاتي، ويُرى وابلي بسُحْبِ بركاتي، فالذين حسبوني مستجمعَ جميع صفات كاملة وكمالات شاملة، وما وجدوا من كمال وما رأوا من جلال إلى جولان خيال، إلا ونسبوها إليّ، وعزوا إليّ كل عظمة ظهرت في عقولهم وأنظارهم، وكلّ قدرة تراءت أمام أفكارهم، فهم قوم يمشون على طرق معرفتي، والحق معهم وأولئك من الفائزين.

فقوموا.. عافاكم الله.. واستقرئوا محامده عزّ اسمه، وانظروا وأمعنوا فيها كالأكياس والمتفكرين. واستنفضوا واستشفوا أنظاركم إلى كل جهة كمال وتحسّسوا منه في قيض العالم ومُحّه، كما يتحسس الحريص أمانيه بشُحّه، فإذا وجدتم كماله التام وريّاه، فإذا هو إيّاه، وهذا سرّ لا يبدو إلا على المسترشدين.

فذلكم ربكم ومولاكم الكامل المستجمع لجميع الصفات الكاملة، والمحامد التامة الشاملة، ولا يعرفه إلا من تدبر في الفاتحة، واستعان بقلب حزين. وإن الذين يُخلصون مع الله نيّة العقد،

ويعطونه صفقة العهد، ويُطهِّرون أنفسهم من الضغن والحقد، تُفتح عليهم أبوابها فإذا هم من المبصرين.

ومع ذلك فيه إشارة إلى أنه مَنْ هَلَكَ بِخَطَاةٍ فِي أَمْرِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ اتَّخَذَ إِلَهَا غَيْرَهُ، فَقَدْ هَلَكَ مِنْ رَفْضِ رِعَايَةِ كِمَالَاتِهِ وَتَرْكِ التَّائِقِ فِي عَجَائِبَاتِهِ، وَالْغَفْلَةِ عَمَّا يَلِيْقُ بِذَاتِهِ، كَمَا هُوَ عَادَةُ الْمُبْطِلِينَ. أَلَا تَنْظُرُ إِلَى النَّصَارَى أَهْمَ دُعُوا إِلَى التَّوْحِيدِ، فَمَا أَهْلَكَهُمْ إِلَّا هَذِهِ الْعِلَّةُ، وَسَوَّلَتْ لَهُمُ النَّفْسُ الْمُضَلَّةُ، وَالشَّهْوَةُ الْمُزَلَّةُ، أَنْ اتَّخَذُوا عَبْدًا إِلَهًا، وَارْتَضَعُوا عُقَارَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَنَسُوا كِمَالَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يَجِبُ لِدَاتِهِ، وَنَحَتُوا لِلَّهِ الْبِنَاتِ وَالْبَنِينَ. وَلَوْ أَهْمَ أَمَعْنَا أَنْظَارَهُمْ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يَلِيْقُ لَهُ مِنَ الْكِمَالَاتِ لَمَا أَخْطَأَ تَوْسُّمُهُمْ وَمَا كَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ. فَأَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى هَهُنَا أَنَّ الْقَانُونَ الْعَاصِمَ مِنَ الْخَطَا فِي مَعْرِفَةِ الْبَارِي.. عَزَّ اسْمُهُ.. إِمَعَانَ النَّظَرَ فِي كِمَالَاتِهِ، وَتَتَّبَعُ صِفَاتِ تَلِيْقِ بِذَاتِهِ، وَتَذَكَّرُ مَا هُوَ أَوْلَى مِنْ جَدْوَى، وَأُحْرَى مِنْ عَدْوَى، وَتَصَوِّرُ مَا أَثْبَتَ بِأَفْعَالِهِ مِنْ قُوَّتِهِ وَحَوْلِهِ وَقَهْرِهِ وَطَوْلِهِ، فَاحْفَظْهُ وَلَا تَكُنْ مِنَ اللَّافِتِينَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّبُوبِيَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَالرَّحْمَانِيَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَالرَّحِيمِيَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَالْحُكْمَ فِي يَوْمِ الْمَجَازَاةِ كُلَّهُ لِلَّهِ، فَيَاكَ وَتَأْيِيكَ مِنْ مَطَاوِعَةِ مُرِّيِّكَ، وَكُنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ. وَأَشَارَ فِي الْآيَةِ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهُ مِنْ تَجَدُّدِ صِفَةٍ، وَحُوُولِ حَالَةٍ، وَلُحُوقِ وَصْمَةٍ، وَحَوْرٍ بَعْدَ كَوْرٍ، بَلْ قَدْ ثَبَّتَ الْحَمْدَ لَهُ أَوْلَا وَآخِرًا،

وظاهرا وباطنا، إلى أبد الأبدين. ومن قال خلاف ذلك فقد
أخْرُورَفَ وكان من الكافرين.

وقد علمتُ أن هذه الآية رُدُّ على النصارى وعبدة الأوثان،
فإنهم لا يوفون الله حقَّه، ولا يرجون له برِّقَه، بل يُغدِفون عليه ستارة
الظلام، ويلقونه في سبل الآلام، ويُبعدونه من الكمال التام،
ويُشركون به كثيرا من المخلوقين. فهذا هو الظن الذي أُرْداهم،
والتقليد الذي أبادهم وأهلكهم، بما عولُّوا على أقوال المفتريين،
وزعموا أنهم من الصادقين. وقالوا إن هذه في الآثار المنتقاة المدوَّنة
عن الثقات، وما توجَّهوا إلى عشر آبائهم، وجهل عُلمائهم،
وتشريقهم وتغريبهم من مراكز تعاليم النبيين، وتِيههم في كل واد
هائمين. والعجب من فهمهم وعقلهم أنهم يعلمون أن الله كامل تام
لا يجوز فيه نقصٌ وشُتعةٌ وشحوبٌ وذهولٌ، وتغيُّرٌ وحُؤولٌ، ثم
يُجوِّزون فيه كثيرا منها، وينسبون إليه كلَّ شقوةٍ وخسرانٍ، وعيب
ونقصانٍ، ويكذبون ما كانوا صدِّقوه أوَّلاً ويهدون كالمجانين.

وفي لفظ الحمد لله تعليم للمسلمين أنهم إذا سُئِلوا وقيل لهم من
إلهكم.. فوجِبَ على المسلم أن يجيبه أن إلهي الذي له الحمد كله،
وما من نوعِ كمالٍ وقدرةٍ إلا وله ثابتٌ، فلا تكن من الناسين. ولو
لاحظَ المشركين حظَّ الإيمان، وأصابهم ظلٌّ من العرفان، لما طاحَ بهم
ظنُّ السوء بالذي هو قيوم العالمين. ولكنهم حسبوه كرجل شاخٍ
بعد الشباب، واحتاج بعد صمديته إلى الأسباب، ووقعت عليه

شدايدٌ نُحولُ وقُحول، وقَشَفُ مُحول، ووقع في الإتراب، بل قرب من التباب، وكان من المترين.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ * الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

اعلم أولاً أن العالم ما يُعلم ويُخبر عنه، وما يدل على الصانع الكامل الواحد المدبّر بالإرادة، ويلتخص الطالب إلى الإيمان به، وينصّه إلى المؤمنين.

وأما خبايا أسرار أسماء ذكرها الله تعالى في هذه الآيات، وأودعها أنواع النكات، فأصنع إليّ أكشف لك قناعها إن كنت استمحتني وجئتني كالمخلصين. فاعلم أن هذه الصفات عيون لفيوض الله الكاملة النازلة على أهل الأرض والسماء، وكلُّ صفة منبعٌ لقسم فيضٍ بترتيب أودع الله آثارها في العالم، ليري توافق قوله بفعله وليكون آية للمتفكرين.

فالقسم الأول من أقسام الصفات الفيضانية صفةٌ يسميها ربنا "رب العالمين". وهذه الصفة أوسع الصفات في الإفاضة، ولا بد من أن نسمي فيضانها فيضاناً أعمّ، لأن صفة الربوبية قد أحاطت الحيوانات وغير الحيوانات، بل أحاطت السماوات والأرضين، وفيضانها أعمّ من كل فيض، ما غادر إنساناً ولا حيواناً ولا شجراً ولا حجراً ولا سماءً ولا أرضاً بل نزل ماؤه على كل شيء فأحياه،

وأحاط بالكائنات كلها ظواهرها وبواطنها، فكلُّ شيءٍ صنيعَةٌ من الله الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ وبدأ خَلَقَ الإنسان من طين. واسم ذلك الفيض ربوبيةٌ، وبه يبذر الله بذر السعادة في كل سعيد، وعليه يتوقف استثمار الخيرات وبروز مادة السعادات، وآثار الورع والحزامة والتقاة وكل ما يوجد في الرشيدين. وكل شقي وسعيد، وطيب وخبيث، يأخذ حَظَّهُ كما شاء ربُّه في المرتبة الربوبية، فهذا الفيض يجعل من يشاء إنساناً، ويجعل من يشاء حماراً، ويجعل ما يشاء نَحاساً، ويجعل ما يشاء ذهباً، وما كان الله من المسؤولين.

واعلم أن هذا الفيض جارٍ على الاتصال بوجه الكمال، ولو فرض انقطاعه طرفَةً عين لفسدت السماوات والأرض وما فيهن، ولكن أحاط صحيحاً ومريضاً، ويفاعاً وحضيضاً، وشجراً وحجرًا، وكل ما في العالمين.

وقدّم الله هذا الفيض في كتابه وضعاً، لتقدُّمه في عالم أسبابه طبعاً، فليس هذا التقديم محدوداً في توشية الكلام، ومحصوراً في رعاية الصفاء التام، بل هي بلاغة حكيمية لإراءة النظام، من حيث إنه تعالى جعل أقواله مرآةً لرؤية أفعاله الموجودة في طبقات الأنام، لتطمئن به قلوب العارفين.

والقسم الثاني من الصفات الفيضانية، صفة يسميها ربُّنا "الرحمن". ولا بد من أن نسمي فيضانه فيضانا عامّاً ورحمانيّة، وله مرتبة بعد مرتبة الفيضان الأعمّ، وهو أخصّ من الفيضان الأول، ولا

ينتفع منه إلا ذوو الروح من أشياء السماء والأرضين. وإن الله في وقت هذا الفيض لا ينظر الاستحقاق والعمل والشكر، بل يُنزله فضلاً منه على كل ذي روح.. إنسانا كان أو حيوانا، مجنوناً كان أو عاقلاً، مؤمناً كان أو كافراً، ويُنجي كلَّ روح من هلكة دانت منها بعدما كادت تموي فيها، ويُعطي كلَّ شيء خلقاً ينفعه، لأن الله جوّاد بالذات وليس بضنين. فكل ما ترى في السماء من الشمس والقمر والنجوم والمطر والهواء، وما ترى في الأرض من الأنهار والأشجار والأثمار، والأدوية النافعة والألبان السائغة، والعسل المصفى، فكلها من رحمانيته عز وجل، لا من عمل العاملين. وإلى هذا الفيضان أشار الله تعالى في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^٥، وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^٦، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾^{*}، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾^٧، تذكراً للمتقين. ولو لم يكن هذا الفيضان لما كان لطير أن يطير في الهواء، ولا لحوت أن يتنفس في الماء، ولأباد كلَّ مُعِيلٍ ضَفَفُهُ، وكلَّ ذي قَشَفٍ شَطَّفُهُ، وما بقي سبيل لإماطته كما لا يخفى على المستطلعين.

ألا ترى كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟ ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، وسخر الشمس والقمر كلَّ يجري

٥ الأعراف: ١٥٧. ٦ الرحمن: ٢-٣. * الأنبياء: ٤٣. ٧ الملك: ٢٠.

لأجل مسمّى، إن في ذلك آيات رحمانية للمتدبرين. وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا، وجعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناءً، وصوّركم فأحسن صُوركم، ورزقكم من الطيبات، فذلكم الرحمن ربكم مُرَبِّي المساكين. والذين كفروا برحمانيته فجعلوا لله عليهم سلطانا مبينا، وما قدروا الله حق قدره وكانوا من الغافلين. ألا يرون إلى الشمس التي تجري من المشرق إلى المغرب؟ أكان خلقها وجريها من عملهم أو من تفضُّل الرحمن الذي وسعت رحمانيته الصالحين والظالمين. وكذلك يُنزل الله ماءً في أوقاته، فينشئ به زروعا وأشجارا فيها فواكه كثيرة، أفهذه النعماء من عمل عامل أو رحمانية خالصة من الله تعالى الذي نجانا من كل اعتياص المعيشة، وأعطانا سلّمًا لكل حاجة نحتاج فيها إلى الارتقاء، وأرشيةً نحتاج إليها للاستسقاء. فسبحان الله الذي أنعم علينا برحمانيته، وما كان لنا من عمل نستحق به، بل خلق نعماءه قبل أن نُخلق، فانظر.. هل ترى مثله في المنعمين؟

فحاصل الكلام أن الرحمانية رحمة عامة لنوع الإنسان والحيوان، ولكل ذي روح وكل نفس منفوسة، من غير إرادة أجر عملٍ ومن غير لحاظ استحقاق عبد بصلاحه وتورُّعه في الدين.

والقسم الثالث من الصفات الفيضانية صفة يُسمِّيها ربُّنا "الرحيم"، ولا بد من أن نسمِّي فيضانها فيضانًا خاصًا ورحيميةً من الله الكريم للذين يعملون الصالحات ويشمرون ولا يقصرون،

ويذكرون ولا يغفلون، ويصرون ولا يتعامون، ويستعدّون ليوم الرحيل، ويتقون سخط الرب الجليل، ويبيتون لرهم سجّداً وقياماً، ويصبحون صائمين. ولا ينسون موتهم ورجوعهم إلى مولاهم الحق، بل يعتبرون بنعي يُسمع، ويرتاعون لإلف يُفقد، ويذكرون مناياهم من موت الأحباب، ويهولهم هيلُ التراب على الأتراب، فيلتاعون ويتنبهون، ويريهم احترامُ الأحبة موتَ أنفسهم، فيتوبون إلى الله وهم من الصالحين.

فلعلّك فهمتَ أن هذا الفيضان ينزل من السماء على شريطة العمل والتورّع والسّمة الصالحة والتقوى والإيمان، ولا وجود له إلا بعد وجود العقل والفهم، وبعد وجود كتاب الله تعالى وحدوده وأحكامه، وكذلك المحرومون من هذه النعمة لا يستحقون عتاباً ومؤاخدة من قبل هذه الشرائط. فظهر أن الرحيمية توءمّ لكتاب الله وتعليمه وتفهمه، فلا يؤخذ أحدٌ قبله، ولا يُدرك أحداً عطبُ القهر إلا بعد ظهور هذه الرحيمية، ولا يُسأل فاسق عن فسقه إلا بعدها. فخذُ هذا السرّ مني وهو ردُّ على المنتصرين. فإنهم قائلون بلسع الذنب من آدم إلى انقطاع الدنيا، ويقولون إن كل عبد مذنبٌ سواء عليه بلغه كتابٌ من الله تعالى وأُعطي له عقل سليم أو كان من المعذورين. وزعموا أن الله تعالى لا يغفر أحداً إلا بعد إيمانه بالمسيح، وزعموا أن أبواب النجاة مغلقة لغيره، ولا سبيل إلى المغفرة بمجرد الأعمال، فإن الله عادل، والعدل يقتضي أن يعذب من كان مذنباً

وكان من المجرمين. فلما حصص اليأس من أن تُطَهَّرَ الناسُ بأعمالهم، أرسلَ إليهم ابنه الطاهر ليزرَ وزرَ الناسَ على عنقه، ثم يُصلبُ ويُنجي الناسَ من أوزارهم، فجاء الابنُ وقُتلَ ونجَّى النصارى، فدخلوا في حدائق النجاة فرحين.

هذه عقيدتهم، ولكن من نَقَدَها بعين المعقول ووَضعها على معيار التحقيقات، سَلَكتها مسلك الهذيان. وإنَّ تعجَّبَ فما تجد أعجَبَ من قولهم هذا. لا يعلمون أن العدلَ أهمُّ وأوجب من الرحم، فمن ترك المذنبَ وأخذ المعصومَ ففعلَ فعلاً ما بقي منه عدل ولا رحم، وما يفعل مثل ذلك إلا الذي هو أضل من المجانين.

ثم إذا كانت المؤاخذات مشروطة بوعده الله تعالى ووعيده فكيف يجوز تعذيب أحد قبل إشاعة قانون الأحكام وتشيينه، وكيف يجوز أخذ الأولين والآخرين عند صدور معصية ما سبقها وعيدٌ عند ارتكابها، وما كان أحد عليها من المطلعين. فالحق أن العدل لا يوجد أثره إلا بعد نزول كتاب الله ووعده ووعيده وأحكامه وحدوده وشرائطه.

وإضافة العدل الحقيقي إلى الله تعالى باطل لا أصل لها، لأن العدل لا يُتصوَّرُ إلا بعد تصوُّرِ الحقوق وتسليم وجوبها، وليس لأحد حق على رب العالمين. ألا ترى أن الله سَخَّرَ كل حيوان للإنسان وأباح دماءها لأدنى ضرورته، فلو كان وجوب العدل حقاً على الله تعالى لما كان له سبيلٌ لإجراء هذه الأحكام، وإلا فكان من

الجائرين. ولكن الله يفعل ما يشاء في ملكوته، يُعزّز من يشاء، ويُذلّ من يشاء، ويُحيي من يشاء، ويميت من يشاء، ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء. ووجود الحقوق يقتضي خلاف ذلك، بل يجعل يده مغلولة، وأنت ترى أن المشاهدة تُكذِّبها، وقد خلق الله مخلوقه على تفاوتٍ المراتب، فبعض مخلوقه أفراسٌ وحمير، وبعضه جمالٌ ونوق، وكلاب وذياب وثور، وجعل لبعض مخلوقه سمعا وبصرا، وخلق بعضهم صُمًّا، وجعل بعضهم عمين. فلايَّ حيوان حقٌّ أن يقوم ويخاصم ربّه أنه لم يخلقه كذا ولم يخلقه كذا؟

نعم.. كتّب الله على نفسه حق العباد بعد إنزال الكتب وتبليغ الوعد والوعيد، وبشّر بجزاء العاملين. فمن تبع كتابه ونبيه ونهى النفسَ عن الهوى فإن الجنة هي المأوى، ومن عصى ربه وأحكامه وأبى، فسيكون من المعذّبين. فلما كان ملاك الأمر الوعد والوعيد، لا العدل العتيد، الذي كان واجبا على الله الوحيد، انهدم من هذا الأصول^٥ المنيفُ الممرّد الذي بناه النصرارى من أوهامهم. فثبت أن إيجاب العدل الحقيقي على الله تعالى خيال فاسد ومتاع كاسد، لا يقبله إلا من كان من الجاهلين. ومن هنا نجد أن بناء عقيدة الكفّارة على عدل الله بناءً فاسد على فاسد، فتدبّر فيه فإنه يكفيك لكسر صليب النصرارى إن كنت من المناظرين.

^٥ سهو، والصحيح: "الأصل". (الناشر)

واسم هذه الصفة في كتاب الله تعالى رحيمية كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[☆]، وقال: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^{*}. فهذا الفيضان لا يتوجه إلا إلى المستحق، ولا يطلب إلا عاملا، وهذا هو الفرق بين الرحمانية والرحيمية، والقرآن مملو من نظائره، ولكن كفاك هذا القدر إن كنت من العاقلين.

القسم الرابع من الفيضان.. فيضان نسميه فيضانا أخصر ومظهراً تاماً للمالكية، وهو أكبر الفيوض وأعلاها، وأرفعها وأتمها وأكملها ومُنْتَهَاهَا، وثمره أشجار العالمين، ولا يظهر إلا بعد هدم عمارات هذا العالم الحقيق الصغير ودروس أطلاله وآثاره، وشحوب سحنته ونضوب ماء وِجْتِنْتِه، وأفول نجمه كالمغربيين. وهو عالم لطيف دقت أسرارها، وكثرت أنواره، يحار فيها فهم المتفكرين.

وإن قلت لم قال الله تعالى في هذا المقام: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وما قال: عادل يوم الدين؟ فاعلم أن السر في ذلك أن العدل لا يتحقق إلا بعد تحقق الحقوق، وليس لأحد من حق على الله رب العالمين. ونجاة الآخرة موهبة من الله تعالى للذين آمنوا به وسارعوا إلى أمثاله وتقبل أحكامه وعبادته ومعرفته بسرعة معجبة، كأنهم كانوا في نجاء حركاتهم ومسائح غدواتهم وروحانهم ممتطين على هوجاء شملة، ونوق مُشْمَعَلَّة، وإن لم يتموا أمر الإطاعة، وما عبدوا حق العباد، وما عرفوا حق المعرفة، ولكن كانوا عليها حريصين.

☆ الأجزاء: ٤٤ * الحجرات: ٦

وكذلك الذين عصوا ربهم، وإن لم تبلغ شقوقهم مداها، ولكن كانوا إليها مسارعين، وكانوا يعملون السيئات ويزيدون في جرائعهم وما كانوا من المنتهين. فكلُّ يرى ما كان في نيته رحمةً من الله أو قهراً، فمن ناوح مَهَبً نسيمِ الرحمة فسيجد حظاً منها خالداً فيها، ومن قابلَ صراصرَ القهر فسيقع في صدماتها. وما هذا إلا المالكية لا العدل الذي يقتضي الحقوق، فتدبر ولا تكن من الغافلين.

واعلم أن في ترتيب هذه الصفات بلاغة أخرى نريد أن نذكرها لتكتحل من كحل المتبصرين. وهو أن الآيات التي رصع الله بعدها كلها مقسومة على تلك الصفات برعاية المحاذاة، ووضع بعضها تحت بعض كطبقات السماوات والأرضين. وتفصيله أنه تعالى ذكر أولاً ذاته وصفاته بترتيب يوجد في العالمين. ثم ذكر كل ما هو يناسب البشرية بترتيب يُشاهد في قانون الله، ومع ذلك جعل كل صفة بشرية تحت صفة إلهية، وجعل لكل صفة إنسانية مشرباً وسقياً من صفة إلهية تستفيض منها، وأرى التقابل بينهما بترتيب وضعي يوجد في الآيات، فتبارك الله أحسن المرتبين. وتشرجه التام أن الصفات مع اسم الذات خمسة أبحر قد تقدم ذكرها في صدر السورة.. أعني: (١) الله، (٢) ورب العالمين، (٣) والرحمن، (٤) والرحيم، (٥) ومالك يوم الدين. فجعل الله كمثلاً خمسة من المغترفات مما ذكر من بعد، وقابل الخمسة بالخمسة، وكل واحد من

المغترفات يشرب من ماءِ صفةٍ تُشابهه وتُناوحه، وتأخذ مما احتوت على معانٍ تسرُّ العارفين.

مثلاً.. **أولها بحرُ اسمِ الله تعالى**، وتغترف منه جملة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التي حدّته وصارت كالمحاذين. وحقيقة التعبد تعظيمُ المعبود بالتذلل التام والاحتذاء. بمثاله والانصباغ بصبغه والخروج من النفس والأنانية كالفانين. وسرُّه أن العبد قد خُلق كالمریض والعلیل والعطشان، وشفأؤه وتسكين غلّته وإرواء كبده في ماءِ عبادة الله، فلا يبرأ ولا يرتوي إلا إذا يثني إليه انصبابه، ويُفرط صبابه، ويسعى إليه كالمستسقين. ولا يُطهّر قريحته ولا يلبّد عجاجته ولا يُحلّي مُجاجته إلا ذكرُ الله، ألا بذكر الله تطمئن قلوب الذين يعبدون الله ويأتونه مسلمين. ففي آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إقرارٌ لمعبودية الله الذي هو مستجمع بجميع صفات الكاملية، ولذلك وقعت هذه الجملة تحت جملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فانظر إن كنت من الناظرين.

وثانيها بحرُ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وتغترف منها جملة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فإن العبد إذا سمع أن الله يُرَبِّي العالمين كلها، وما من عالم إلا هو مربيّه، ورأى نفسه أمارّةً بالسوء، فتضرّع واضطرّ والتجأ إلى بابه، وتعلّق بأهدابه، ودخل في مادبه برعاية آدابه، ليدركه بالربوبية ويُحسن إليه وهو خير المحسنين؛ فإن الربوبية صفةٌ تعطي كلَّ شيء خلقه المطلوبَ لوجوده، ولا يغادره كالناقصين.

وثالثها بحرُ اسمِ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ وتغترف منه جملةٌ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ليكون العبد من المهتدين المرحومين. فإن الرحمانية تُعطي كلَّ ما يحتاج إليه الوجود الذي ربِّي من صفة الربوبية، فهذه الصفة تجعل الأسبابَ موافقةً للمرحوم. وأثرُ الربوبية تسويةُ الوجود وتخليقه كما يليق وينبغي، وأثرُ هذه الصفة أنها تُكسي ذلك الوجودَ لباساً يوارى سواته، وتُهبُّ له زينته، وتكحل عينه وتغسل وجهه، وتعطي له فرساً للركوب، وتُريه طرق الفارسين. ومَرَّتبتها بعد الربوبية، وهي تعطي كلَّ شيءٍ مطلوبَ وجوده، وتجعله من الموفِّقين.

ورابعها بحرُ اسمِ ﴿الرَّحِيمِ﴾ وتغترف منه جملةٌ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ليكون العبد من المنعمين المخصوصين. فإن الرحيمية صفة مُدنيةٌ إلى الإنعامات الخاصة التي لا شريك فيها للمطيعين، وإن كان الإنعام العام محيطاً بكل شيءٍ من الناس إلى الأفاعي والتنين.

وخامسها بحرُ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وتغترف منه جملةٌ ﴿غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فإن غضب الله وتركه في الضلالة لا تظهر حقيقته على الناس على وجهه • الكامل إلا في يوم المجازاة، الذي يُجاليهم الله فيه بغضبه وإنعامه، ويُجالحهم بتدليله وإكرامه،

• سهو، والصحيح: "الوجه". (الناشر)

وَيُجَلِّي عَنْ نَفْسِهِ إِلَى حَدِّ مَا جَلَّى كَمَثَلِهِ، وَتَرَأَى السَّابِقُونَ كَفَرَسَ مُجَلَّى، وَتَرَأَتْ الْجَالِيَةَ بَعْثَهُمُ الْمُبِينِ. وَفِيهِ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا مُورَدَ غَضَبِ اللَّهِ وَكَانُوا قَوْمًا عَمِينَ. وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى، وَلَكِنْ عَمَى هَذِهِ الدُّنْيَا مَخْفِيٌّ وَيَتَبَيَّنُ فِي يَوْمِ الدِّينِ. فَالَّذِينَ أَبَوْا وَمَا تَبَعُوا هَدْيَ رَسُولِنَا وَنُورَ كِتَابِنَا وَكَانُوا لَطَوَاعِيَتِهِمْ مُتَّبِعِينَ، فَسَوْفَ يَرُونَ غَضَبَ اللَّهِ وَتَغْيِظَ النَّارِ وَزَفِيرَهَا، وَيَرُونَ ظَلَمَتَهُمْ وَضَلَالَتَهُمْ بِالْأَعْيُنِ، وَيَجِدُونَ أَنفُسَهُمْ كَالظَّالِعِ الْأَعُورِ، وَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، وَمَا كَانَ لَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الشَّافِعِينَ.

وفي الآية إشارة إلى أن اسم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ذو الجهتين.. يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَاسْأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ. هذا ما أردنا من بيان بعض نكات هذه الآية ولطائفها الأدبية التي هي للناظرين كالأيات، وبلاغتها الرائعة المبتكرة المحبرة المحتوية على محاسن الكنايات، مع دُرر حِكْمِيَّةٍ ومعارف نادرة من دقائق الإلهيات، فلا تجد نظيرها في الأولين والآخرين. فلا شك أن مُلَحَّ أَدْبَارِهَا، وَقَدَمَهَا عَلَى أَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةً، وَهِيَ يَصْبِي [◆] قُلُوبَ الْعَارِفِينَ.

◆ سهو، والصحيح: "تصبي". (الناشر)

وقد علمتَ ترتيبَ خمسةِ أبحرٍ التي تجري بعضها تلو بعض،
فَتَسَلَّمَهُ وكن من الشاكرين. وأما ترتيب المغترفات فتعرفه بترتيب
أبحرها إن كنت من المغترفين.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قدَّم الله ﷻ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
إشارةً إلى تفضلاته الرحمانية من قَبْلِ الاستعانة، فكأن العبد يشكر
ربه ويقول يا رب إني أشكرُك على نعمائك التي أعطيتني من قبل
دعائي ومسألتي وعملي وجهدي واستعانتني بالربوبية والرحمانية التي
سبقت سُؤْلَ السائلين، ثم أطلبُ منك قوَّةً وصلاحًا وفلاحًا وفوزًا
ومقاصد التي لا تُعْطَى إلا بعد الطلب والاستعانة والدعاء وأنت خير
المعطين.

وفي هذه الآيات حثٌّ على شكرٍ ما تُعْطَى، والدعاء بالصبر فيما
تتمنى، وفرطِ اللهجِ إلى ما هو أتمُّ وأعلى، لتكون من الشاكرين
الصابرين. وفيها حثٌّ على نفي الحَوْلِ والقوَّة، والاستطرach بين
يدي سبحانه مترقبًا منتظرًا مديمًا للسؤال والدعاء والتضرع والثناء،
والافتقار مع الخوفِ والرجاء، كالطفل الرضيع في يد الظئر، والموتِ
عن الخلق وعن كل ما هو في الأرضين. وفيها حثٌّ على إقرارِ
واعترافِ بأننا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا

بعونك، بك نعمل وبك نتحرك، وإليك نسعى كالثواكل متحرّقين
 وكالعشاق متلّظّين. وفيها حثٌّ على الخروج من الاختيال والزّهو،
 والاعتصام بقوة الله تعالى وحوله عند اعتياص الأمور وهجوم
 المشكلات، والدخول في المنكسرين. كأنه - تعالى شأنه - يقول يا
 عباد احسبوا أنفسكم كالميتين، وباللّٰه اعتضدوا كل حين. فلا يَزِدّه
 الشابُّ منكم بقوته، ولا يتخصّر الشيخ بهراوته، ولا يفرح الكيسُ
 بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودة فهمه وذكائه، ولا يتكىء
 الملهم على إلهامه وكشفه وخلوص دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء،
 ويطرده من يشاء، ويُدخل من يشاء في المخصوصين.

وفي جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى عظمة شرّ النفس الأمّارة
 التي تسعى كالعسّارة، فكأنها أفعى شرّها قد طمّت، فجعل كلّ سليم
 كعظم إذا رمّ، وتراها تنفث السمّ، أو هي ضرغامٌ ما ينكل إن همّ،
 ولا حولَ ولا قوةَ ولا كسبَ ولا لَمَّ، إلا باللّٰه الذي هو يرحم
 الشياطين.

وفي تقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نكاتٌ أخرى، فنكتب
 للذين هم مشغوفون بآيات المثاني لا برئات المثاني، ويسعون إليها
 شائقين. وهي أن الله عَلَّمَ يعلم عباده دعاءً فيه سعادتهم، فيقول يا
 عباد سلّوني بالانكسار والعبودية، وقولوا: ربنا إياك نعبد ولكن
 بالمعانة والتكلف والتجشم وتفرقة الخاطر وتمويهات الخناس
 وبالروية الناضبة والأوهام الناضبة والخيالات المظلمة، كماءٍ مُكدّرٍ

من سَيْلٍ أَوْ كحاطب ليل، وَإِنْ نَتَّبِعْ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَيْقِينَ. ﴿وإياك نستعين﴾ يعني: نستعينك للذوق والشوق والحضور والإيمان الموفور، والتلبية الروحانية والسرور والنور، ولتوشيح القلب بحُلِّي المعارف وحُلل الحبور، لنكون بفضلك من سبّاقين في عرصات اليقين، وإلى منتهى المآرب واصلين، وفي بحار الحقائق متوردين. وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كُنْ لِلْعَالَمِينَ حَسْبًا وَنَصِيحًا﴾ وهو أنه يرغب فيه عباده إلى أن يبذلوا في مطاوعته جُهْدَ المستطيع، ويقوموا مُلَبِّينَ في كل حين تلبيةً المطيع. فكأن العباد يقولون: ربنا إنا لا نألو في المجاهدات، وفي امتثالك وابتغاء الرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنانَ بالعُجب والرياء، ونستوهب منك توفيقًا قائدًا إلى الرشد والرضا، وإنا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكْتُبْنَا في المطاوعين.

وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنا خصصناك بمعبوديتك، وآثرناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئًا إلا وجهك، وإنا من الموحدّين.

واختار **عَلَيْكَ** لفظَ المتكلم مع الغير إشارةً إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم وودادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتم ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق لنفسه، ولا يفرّق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى

يوصي ويقول يا عباد تهادوا بالدعاء تهادي الإخوان والمحبين. وتناثوا دعواتكم وتبأثوا نياتكم، وكونوا في المحبة كالإخوان والآباء والبنين.

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

هذا الدعاء ردُّ على قول الذين يقولون إن القلم قد جفَّ بما هو كائن، فلا فائدة في الدعاء، فالله تبارك وتعالى يُبشِّر عباده بقبول الدعاء، فكأنه يقول يا عباد ادعوني أستجب لكم. وإن في الدعاء تأثيرات وتبديلات، والدعاء المقبول يُدخل الداعي في المنعمين. وفي الآية إشارة إلى علامات تُعرَفُ بها قبولية الدعاء على طريق الاصطفاء، وإيماءً إلى آثار المقبلين. لأن الإنسان إذا أحبَّ الرحمن وقوى الإيمان، فذلك الإنسان وإن كان على حُسن اعتقاد في أمر استجابة دعواته، ولكن الاعتقاد ليس كعين اليقين، وليس الخبر كالمعاينة، ولا يستوي حال أولي الأبصار والعمين، بل من يُدرَّب باستجابة الدعاء حق التدرُّب، وكان معه أثر من المشاهدات، فلا يبقى له شكٌّ ولا ريبٌ في قبولية الأدعية. والذين يشكُّون فيها فسببُه حرمانهم من ذلك الحظِّ، ثم قلة التفاهم إلى ربهم، وابتلاؤهم بسلسلة أسبابٍ توجد في واقعات الفطرة وظهورات القدرة، فما

ترقت أعينهم فوق الأسباب المادية الموجودة أمام الأعين، فاستبعدوا ما لم تُحط بها آراؤهم وما كانوا مهتدين.

وفي هذه السورة نكاتٌ شتى نريد أن نكتب بعضها، ومنها أن الفاتحة سبع آيات أولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وآخرها: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وفي الآية الأولى بيان بدء الخلق، وفي الأخرى إشارة إلى قوم تقوم القيامة عليهم وعلى أمثالهم من اليهود والمنتصرين. وفي تعيين "سبع" آية إشارة إلى أن عمر الدنيا سبعة كما أن أيام أسبوعنا سبعة. وما ندري حقيقة السبعة على وجه التحقيق، فهي آلاف كآلافنا أو غير ذلك، ولكننا نعلم أنه ما بقي من السبعة إلا واحداً، وقد أراد الله تصرفات جديدة بعد انقضائها، فيهلك القرون الأولى عند اختتامها ويخلق الآخرين.

وفي الآية السادسة.. يعني ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ نكتة أخرى، وهي أن آدم قد خلق في يوم السادس، وأنعم عليه ونُفخ فيه روح الحياة في الجمعة بعد العصر، وكذلك يُخلق رجلٌ في الألف السادس وهو آدم قوم أضاعوا إيمانهم، فيجيء ويحيي قلوبهم، ويهب لهم عرفانا غزياً طرياً، ويجعلهم بعد نومهم من المستيقظين.

وفي آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارة وحث على دعاء صحة المعرفة، كأنه يُعلمنا ويقول ادعوا الله أن يُريك صفاته كما هي ويجعلكم من الشاكرين، لأن الأمم الأولى ما ضلوا إلا بعد كونهم عمياً في معرفة صفات الله تعالى وإنعاماته ومرضاته، فكانوا

يُفَأْتُونَ الْأَيَّامَ فِيمَا يَزِيدُ الْآثَامَ، فَحَلَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَكَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وَسِيَاقُ كَلَامِهِ يُعَلِّمُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَّا إِلَى قَوْمٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ الْغَضَبِ، فَالْمُرَادُ مِنَ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فِي الْآيَةِ قَوْمٌ عَصَوْا فِي نِعْمَاءٍ وَأَلَاءِ رِزْقِهِمْ اللَّهُ خَاصَّةً وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، وَنَسُوا الْمَنْعَمَ وَحَقَّهُ وَكَانُوا مِنَ الْكَافِرِينَ. وَأَمَّا الضَّالُّونَ فَهَمُ قَوْمٌ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوا مَسَلَكَ الصَّوَابِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ الصَّادِقَةِ وَالْمَعَارِفِ الْمُنِيرَةِ الْحَقَّةِ، وَالْأَدْعِيَةِ الْعَاصِمَةِ الْمَوْفِقَةِ، بَلْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ خَيَالَاتٌ وَهَمِيَّةٌ فَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَجَهَلُوا طَرِيقَهُمْ، وَأَخْطَأُوا مَشْرَبَهُمْ مِنَ الْحَقِّ فَضَلُّوا، وَمَا سَرَّحُوا أَفْكَارَهُمْ فِي مِرَاعِي الْحَقِّ الْمُبِينِ. وَالْعَجَبُ مِنْ أَفْكَارِهِمْ وَعَقُولِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ أَنَّهُمْ جَوَّزُوا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى خَلْقِهِ مَا يَأْبَى مِنْهُ الْفِطْرَةُ الصَّحِيحَةُ وَالْإِشْرَاقَاتُ الْقَلْبِيَّةُ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الشَّرَائِعَ تَخْدُمُ الطَّبَائِعَ، وَالطَّبِيبَ مَعِينٌ لِلطَّبِيعَةِ لَا مَنَازِعٌ لَهَا، فَيَا حَسْرَةً عَلَيْهِمْ.. مَا أَلْهَاهُمْ عَنْ صِرَاطِ الصَّادِقِينَ!

وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ يُعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُسْلِمِينَ.. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ يَا عِبَادَ.. إِنَّكُمْ رَأَيْتُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَاجْتَنِبُوا شَبَهَ أَعْمَالِهِمْ، وَاعْتَصِمُوا بِجِبْلِ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَلَا تَنْسُوا نِعْمَاءَ اللَّهِ كَالْيَهُودِ، فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبُهُ، وَلَا تَتْرَكُوا الْعُلُومَ الصَّادِقَةَ وَالِدُّعَاءَ، وَلَا تَهِنُوا مِنْ طَلَبِ الْهُدَايَةِ كَالنَّصَارَى فَتَكُونُوا مِنَ الضَّالِّينَ.

وحتّى على طلب الهداية إشارةً إلى أن الثبات على الهداية لا يكون إلا بدوام الدعاء والتضرع في حضرة الله. ومع ذلك إشارة إلى أن الهداية أمرٌ من لديه، والعبد لا يهتدي أبداً من غير أن يهديه الله ويُدخله في المهديين. وإشارةً إلى أن الهداية غير متناهية، وترقى النفوس إليها بسلم الدعوات، ومن ترك الدعاء فأضاع سلّمه، فإنما الحريّ بالاهتداء من كان رطب اللسان بالدعاء وذكر ربه، وكان عليه من المداومين. ومن ترك الدعاء وادّعى الاهتداء، فعسى أن يتزين للناس بما ليس فيه، ويقع في هوة الشرك والرياء، ويخرج من جماعة المخلصين. والمخلص يترقى يوماً فيوماً حتى يصير مُخلصاً.. بفتح اللام.. وتب له العناية سرّاً يكون بين الله وبينه ويدخل في المحبوبين، ويتنزل منزلة المقبولين. والعبد لا يبلغ حقيقة الإيمان من غير أن يفهم حقيقة الإخلاص ويقوم عليها، ولا يكون مخلصاً وعنده على وجه الأرض شيء يتكىء عليه ويخافه أو يحسبه من الناصرين. ولا ينجو أحد من غوائل النفس وشروورها إلا بعد أن يتقبله الله بإخلاصه، ويعصمه بفضله وحوله وقوته، ويذيقه من شراب الروحانيين، لأنها خبيثة وقد انتهت إلى غاية الخبث وصارت منشأ الأهوية المضلة الرديّة المُردية، فعلم الله تعالى عباده أن يفروا إليه بالدعاء عائداً من شروورها ودواهيها ليدخلهم في زمر المحفوظين. وإن مثل جذبات النفس كمثل الحميات الحادة، فكما تجد عند تلك الحميات أعراضاً هائلةً مشتدةً مثل النافض والبرد والقشعريرة، ومثل

العرق الكثير والرعاف المفرط والقيء العنيف والإسهال المضعف، والعطش الذي لا يُطاق، ومثل السبات الكثير والأرق اللازم، وخشونة اللسان وقحل الفم، ومثل العطاس الملح والصداع الصعب، والسعال المتواتر وسقوط الشهوة والفُواق، وغيرها من علامات الحمومين؛ كذلك للنفس جذبات وعلامات، موادها تفور، وأمواجها تمور، وأعراضها تدور، وبقراتها تخور، وأسيرها يبور، وقلَّ مَنْ كان من الناجين. فطلبُ الهداية كمثل الرجوع إلى الطبيب الحاذق والاستطراح بين يدي المعالجين. والإنعام الذي أشار الله إليه لعباده هو تبتُّلُ العبد إلى الله وإحماء وداده ودوام إسعاده، ورجوعُ الله إليه ببركاته وإلهاماته واستجاباته، وجَعَلَهُ طَوْدًا من أطواده، وإدخاله في عباده المحفوظين، وقوله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾^{٥٠}، وجَعَلَهُ من الطيبين الطاهرين، فهذا هو الشفاء من حُمى المعاصي، والعلاجُ بأوفق الأدوية والأغذية، والتدبيرُ اللطيف الذي لا يعلمه إلا رب العالمين.

ثم اعلم أن الله في هذه السورة المباركة يُبين للمؤمنين ما كان آخر شأن أهل الكتاب ويقول إن اليهود عصوا ربهم بعد ما نزلت عليهم الإنعامات وتواترت التفضلات، فصاروا قوما مغضوبا عليه، والنصارى نسوا صفات ربهم وأنزلوه منزلَ العبد الضعيف العاجز، فصاروا قوما ضالين.

٥٠ الأنبياء: ٧٠

وفي السورة إشارة إلى أن أمر المسلمين سيؤول إلى أمر أهل الكتاب في آخر الزمان، فيشابهونهم في أفعالهم وأعمالهم، فيدركهم الله تعالى بفضلٍ من لدنه، وإنعامٍ من عنده، ويحفظهم من الانحرافات السُّبُعيَّة والبهيمية والوهمية، ويُدخلهم في عباده الصالحين.

وفي السورة إشارة إلى بركات الدعاء، وإلى أنه كل خير ينزل من السماء، وإلى أنه مَنْ عَرَفَ الحق وثبَّت نفسه على الهدى، وتهدَّب وصلح فلا يُضيعه الله ويُدخله في عباده المنعمين. والذي عصى ربه فيكون من الهالكين.

وفي السورة إشارة إلى أن السعيد هو الذي كان فيه جيشُ الدعاء، لا يعبأ ولا يلعب، ولا يعبس ولا يبأس، ويثق بفضل ربه إلى أن تدركه عناية الله فيكون من الفائزين.

وفي السورة إشارة إلى أن صفات الله تعالى مؤثِّرة بقدر إيمان العبد بها، وإذا توجَّه العارف إلى صفة من صفات الله تعالى وأبصره ببصر روحه، وآمن ثم آمن ثم آمن حتى فنى في إيمانه، فتدخل روحانية هذه الصفة في قلبه، وتأخذه منه، فيرى السالك باله فارغاً من غير الرحمن، وقلبه مطمئنًا بالإيمان، وعيشه حلواً بذكر المَنَّان، ويكون من المستبشرين. فتتجلى تلك الصفة له وتستوي عليه حتى يكون قلبُ هذا العبد عرشَ هذه الصفة، وينصبغ القلب بصبغها بعد ذهاب الصبغ النفسانية، وبعد كونه من الفانين.

فإن قلتَ من أين علمتَ أن هذه الإشارة توجد في الفاتحة؟ فاعلمَ أن لفظ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يدل عليه، فإن الله تعالى ما قال: "قل الحمد لله"، بل قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فكأنه أنطقَ فطرتنا وأرانا ما كان مخفياً في فطرتنا. وهذه إشارة إلى أن الإنسان قد خلُق على فطرة الإسلام، وأُدخِل في فطرته أن يحمَد الله ويستيقن أنه رب العالمين، ورحمن، ورحيم، ومالك يوم الدين. وأنه يُعين المستعِين ويَهدي الداعين. فثبت من ههنا أن العبد مجبولٌ على معرفة ربه وعبادته، وقد أُشرب في قلبه محبته، فتظهر هذه الحالة بعد رفع الحجب، وتُجري ذكر الله تعالى على اللسان من غير اختيار وتكلف، وتنبت شجرة المعارف وتثمر وتؤتي أكله^٥ كل حين.

وفي قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة أخرى، وهو أن الله تعالى خلَق الآخرين مشاكِلين بالأولين. فإذا اتصلت أرواحهم بأرواحهم بكمالِ الاقتداء ومناسبةِ الطباع، فينزل الفيض من قلوبهم إلى قلوبهم، ثم إذا تمَّ إفشاء المستفيض إلى المفيض وبلغ الأمر إلى غاية الوصلة، فيصير وجودهما كشيء واحد، ويغيب أحدهما في الآخر، وهذه الحالة هي المعبرُ عنها بالاتحاد، وفي هذه المرتبة يُسمى السالك في السماء تسمية الأنبياء لمشابته إياهم في جوهرهم وطبعهم كما لا يخفى على العارفين.

^٥ سهو، والصحيح: "أكلها". (الناشر)

وحاصل الكلام أن الله تعالى يُبشِّرُ لأمة نبيِّنا ﷺ، فكأنه يقول يا عبادِ إنكم خُلِقتم على طبائع المنعمين السابقين، وفيكم استعداداتكم، فلا تُضيعوا الاستعدادات، وجاهدوا لتحصيل الكمالات، واعلموا أن الله جوَادُّ كريم وليس ببخيلِ ضنين. ومن ههنا يُفهم سرُّ نزول المسيح الذي يختصم الناس فيه.. فإن عبداً من عباد الله إذا اقتدى هدي المهتدين، وتبع سنن الكاملين، وتأهَّبَ للانصبغ بصبغ المهديين، وعطَّفَ إليهم بجميع إرادته وقوَّته وجنانه، وأدَّى شرط السلوك بحسب إمكانه، وشفَّعَ الأقوال بالأعمال والمقالَ بالحال، ودخل في الذين يتعاطون كأس المحبة للقادر ذي الجلال، ويقتدحون زنادَ ذكرِ الله بالتضرع والابتهاال، ويكون مع الباكين.. فهنالك يفور بحر رحمة الله لِيُطهِّره من الأوساخ والأدران، ولترويه^٥ بإفاضة التهتان، ثم يأخذ يده ويُرقِّيه إلى أعلى مراتب الارتقاء والعرفان، ويُدخله في الذين خلوا من قبله من الصلحاء والأولياء والرسل والنبيين، فيُعطي كمالاً كمثل كمالهم، وجمالاً كمثل جمالهم، وجلالاً كمثل جلالهم، وقد يقتضي الزمان والمصلحة أن يُرسل هذا الرجلَ على قدم نبي خاص، فيُعطي له علماً كعلمه، وعقلاً كعقله، ونوراً كنوره، واسماً كاسمه، ويجعل الله أرواحهما كمرايا متقابلة، فيكون النبي كالأصل، والولي كالظل، من مرتبته يأخذ ومن روحانيته يستفيد، حتى يرتفع منهما الامتيازُ والغيرية، وتردُّ أحكامُ

^٥ سهو، والصحيح: "ليرويه". (الناشر)

الأول على الآخر، ويصيران كشيء واحد عند الله وعند مَلَكه الأعلى، وينزل على الآخر إرادة الله وتصريفه إلى جهة، وأمره ونهيه بعد عبوره على روح الأول، وهذا سرٌّ من أسرار الله تعالى لا يفهمه إلا من كان من الروحانيين.

واعلم أن ذلك الرجل الذي يتشابه قلبه بقلب نبي بمشابهة قوية شديدة تامة كاملة لا يأتي إلا إذا اشتدت الضرورة لجيئه، فلما قامت الضرورة لوجود مثل ذلك الرجل.. يستأثر الله عبدا من عباده لهذا الأمر، فيدانيه رحمته كما كانت دانت مُورثه، وينزل عليه سرّ روحه وحقيقة جوهره، وصفاء سيرته وشأن شمائله، ويجعل إرادته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، حتى يتجلى فيه جميع شؤون النبي المشبه به ويصير مغمورا في معنى الاتحاد، فيصيران حقيقة واحدة يقع عليهما اسم واحد، ويُنسَبون إلى مثال واحد، كأن النبي المشبه به نزل من السماء إلى أهل الأرضين. فهذا معنى قول النبي ﷺ في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو الحق لا يُخالف القرآن ولا يُعارضه، وقد مضى مثله في الأولين. فلا تجادل بغير الحق ولا تكن من المنكرين. قد تُؤفّي عيسى كما تُؤفّي الذين خلوا من قبله وجاءوا من بعده. فلا تخفّ قوما تركوا كتاب الله ونصوصه، وآثروا غير القرآن على القرآن، وآثروا الشك على اليقين، وخفّ الله وقهره واعتزل تلك الفرق كلها واعتصم بجبل الله المتين. ومن صرف عنان التوجه

إلى هذه الآية وأمعنَ فيه • حق الإمعان، فيرى أنها شاهد على بياننا هذا ويكون من المدعين.

فلا تعذبوني بعد ما قلتُ سرَّه وأثبتُّه بدلائل الفرقان
وقد بانَ برهاني بقول واضح وأنار صدقي عند ذي العرفان
وعليك بالصدق النقيِّ وسُبِّله ولو أنه ألقاك في النيرانِ

ثم اعلم أن الله تعالى صفات ذاتية ناشئة من اقتضاء ذاته، وعليها مدار العالمين كلها، وهي أربعة: (١) ربوبية (٢) ورحمانية (٣) ورحيمية (٤) ومالكية، كما أشار الله تعالى إليها في هذه السورة وقال: (١) رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ (٣) الرَّحِيمِ (٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. فهذه الصفات الذاتية سابقة على كل شيء ومحيطة بكل شيء، ومنها وجودُ الأشياء واستعدادها، وقابليتها ووصولها إلى كمالها. وأما صفة الغضب فليست ذاتية لله تعالى، بل هي ناشئة من عدم قابلية بعض الأعيان للكمال المطلق، وكذلك صفة الإضلال لا يبدو إلا بعد زيغ الضالين.

وأما حصر الصفات المذكورة في الأربع فنظراً على العالم الذي يوجد فيه آثارها. ألا ترى أن العالم كله يشهد على وجود هذه الصفات بلسان الحال، وقد تجلت هذه الصفات بنحو لا يشك فيها

• سهو، والصحيح: "فيها". (الناشر)

بصيرٌ إلا من كان من قوم عمين. وهذه الصفات أربعٌ إلى انقراض
النشأة الدنيوية، ثم تتجلى من تحتها أربع أخرى التي من شأنها أنها لا
تظهر إلا في العالم الآخر، وأوّلُ مطالعِها عرشُ الرب الكريم الذي لم
يتدنس بوجود غير الله تعالى وصار مظهرًا تامًّا لأنوار رب العالمين،
وقوائمه أربعٌ: ربوبية ورحمانية ورحيمية ومالكية يوم الدين. ولا
جامع لهذه الأربع على وجه الظليّة إلا عرشُ الله تعالى وقلبُ الإنسان
الكامل، وهذه الصفات أمهات لصفات الله كلها، ووقعت كقوائم
العرش الذي استوى الله عليه، وفي لفظ الاستواء إشارة إلى هذا
الانعكاس على الوجه الأتم الأكمل من الله الذي هو أحسن
الخالقين. وتنتهي كل قائمة من العرش إلى ملك هو حاملها، ومدبّر
أمرها، وموردٌ تجلياتها، وقاسمُها على أهل السماء والأرضين. فهذا
معنى قول الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾*،
فإن الملائكة يحملون صفات فيها حقيقة عرشية. والسر في ذلك أن
العرش ليس شيئًا من أشياء الدنيا، بل هو برزخ بين الدنيا والآخرة،
ومبدأ قديم للتجليات الربانية والرحمانية والرحيمية والمالكية لإظهار
التفضلات وتكميل الجزاء والدين. وهو داخلٌ في صفات الله تعالى،
فإنه كان ذا العرش من قديم، ولم يكن معه شيء، فكُن من
المتدبرين.

* الحاققة: ١٨

وحقيقة العرش واستواء الله عليه سرٌّ عظيم من أسرار الله تعالى وحكمة بالغة ومعنى روحاني، وسُمِّيَ عرشاً لتفهيم عقول هذا العالم ولتقريب الأمر إلى استعداداتهم، وهو واسطة في وصول الفيض الإلهي والتجلي الرحماني من حضرة الحق إلى الملائكة، ومن الملائكة إلى الرسل. ولا يقدح في وحدته تعالى تكثُرُ قوابل الفيض، بل التكثر ههنا يوجب البركات لبني آدم، ويعينهم على القوة الروحانية، وينصرهم في المجاهدات والرياضات الموجبة لظهور المناسبات التي بينهم وبين ما يصلون إليه من النفوس كنفس العرش والعقول المجردة إلى أن يصلون* إلى المبدأ الأول وعلة العلل. ثم إذا أعان السالك الجذبات الإلهية والنسيم الرحمانية، فيقطع كثيراً من حجبه، وينجيه من بُعد المقصد وكثرة عقباته وآفاته، وينوره بالنور الإلهي ويدخله في الواصلين. فيكمل له الوصول والشهود مع رؤيته عجائب المنازل والمقامات. ولا شعور لأهل العقل بهذه المعارف والنكات، ولا مدخل للعقل فيه، والاطلاعُ بأمثال هذه المعاني إنما هو من مشكاة النبوة والولاية، وما شئتُ † العقل رائحته، وما كان لعقل أن يضع القدم في هذا الموضوع إلا بجذبة من جذبات رب العالمين.

وإذا انفكت الأرواح الطيبة الكاملة من الأبدان، ويتطهرون على وجه الكمال من الأوساخ والأدران، يُعرَضون على الله تحت العرش

* سهو، والصحيح: "يصلوا". (الناشر)

† سهو، والصحيح: "شئت". (الناشر)

بواسطة الملائكة، فيأخذون بطور جديد حظاً من ربوبيته يغير ربوبيةً سابقة، وحظاً من رحمانية مغايرَ رحمانية أولى، وحظاً من رحيمية ومالكية مغايرَ ما كان في الدنيا. فهناك تكون ثمانى صفات تحملها ثمانية من ملائكة الله بإذن أحسن الخالقين. فإن لكل صفة مَلِكٌ مُوَكَّلٌ قد خُلِقَ لتوزيع تلك الصفة على وجه التدبير ووضعها في محلها، وإليه إشارة في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾*، فتدبّر ولا تَكُنْ من الغافلين.

وزيادة الملائكة الحاملين في الآخرة لزيادة تجليات ربانية ورحمانية ورحيمية ومالكية عند زيادة القوابل، فإن النفوس المطمئنة بعد انقطاعها ورجوعها إلى العالم الثاني والرب الكريم تترقى في استعداداتها، فتتموج الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية بحسب قابلياتهم واستعداداتهم كما تشهد عليه كشوف العارفين. وإن كنت من الذين أُعْطِيَ لهم حظٌّ من القرآن، فتجد فيه كثيراً من مثل هذا البيان، فانظرُ بالنظر الدقيق لتجد شهادة هذا التحقيق، من كتاب الله رب العالمين.

ثم اعلم أن في آية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة عظيمة إلى تزكية النفوس من دقائق الشرك واستئصال أسبابها، ولأجل ذلك رغب الله في الآية في تحصيل كمالات الأنبياء واستفتاح أبوابها، فإن أكثر الشرك قد جاء في الدنيا

من باب إطراء الأنبياء والأولياء، وإن الذين حسبوا نبيهم وحيدا فريدا، ووحده لا شريك له كذات حضرة الكبرياء، فكان مآل أمرهم أنهم اتخذوه إلهاً بعد مدة، وهكذا فسدت قلوب النصارى من الإطراء والاعتداء. فالله يشير في هذه الآية إلى هذه المفسدة والغواية، ويومئ إلى أن المنعمين من المرسلين والنبیین والمحدثين إنما يُبعثون ليصطبغ الناس بصبغ تلك الكرام، لا أن يعبدوهم ويتخذوهم آلهة كالأصنام، فالغرض من إرسال تلك النفوس المهذبة ذوي الصفات المطهرة، أن يكون كلُّ متبّع قريع تلك الصفات، لا قارع الجبهة على هذه الصفاة. فأوماً الله في هذه الآية لأولي الفهم والدراية إلى أن كمالات النبیین ليست ككمالات رب العالمين، وأن الله أخذ صمداً وحيداً لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، وأما الأنبياء فليسوا كذلك، بل جعل الله لهم وارثين من المتبعين الصادقين، فأمتهم ورثاؤهم.. يجدون ما وجد أنبيأؤهم إن كانوا لهم متبعين. وإلى هذا أشار في قوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾*، فانظر كيف جعل الأمة أحماء الله بشرط اتّباعهم واقتدائهم بسيد المحبوبين.

وتدل آية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أن تراث السابقين من المرسلين والصدّيقين حقٌّ واجبٌ غير مجذوذ ومفروضٌ للاحقين من المؤمنين الصالحين إلى يوم الدين. وهم

يرثون الأنبياء ويجدون ما وجدوا من إنعامات الله. وهذا هو الحق فلا تكن من الممترين.

وأما سرُّ ذلك التوارث ولِمْيَةِ المورث والوارث، فتتكشف من تلك الآية التي تُعَلِّمُ التوحيد، وتُعَظِّمُ الربَّ الوحيد، فإن الله المعين وأرحم الراحمين، إذا علِّمَ دقائق التوحيد وبالغَ في التلقين، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فأراد عند هذا التعليم والتفهيم أن يقطع عروقَ الشرك كلها فضلاً من لدنه ورحمةً منه على أُمَّة خاتم النبيين، لينجِّي هذه الأُمَّة من آفات ورَدَدَت على المتقدمين. فعلمنا دعاءً مَبْرُورَةً وعطاءً وجعلنا منه من المستخلصين. فنحن ندعو بتعليمه، ونطلب منه بتفهيمه، فرحين برُفْدِهِ، مفصحين بحمده، قائلين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. ونحن نسأل الله لنا في هذا الدعاء كلَّ ما أُعْطِيَ للأنبياء من النعماء، ونسأله أن تثبت كالأنبياء على الصراط، ونتجافى عن الاشتطاط، وندخل معهم في مربع حظيرة القدس، متطهرين من كل أنواع الرجس، ومبادرين إلى ذرَى ربِّ العالمين. فلا يخفى أن الله جعلنا في هذا الدعاء كأظلال الأنبياء، وأورثنا وأعطانا المعلوم والمكتوم، والمعكوم والمختوم، ومن كل الآلاء والنعماء، فاحتملنا منها وقَرْنَا، ورجعنا بما يسدُّ فقرنا، وسالت أوديةً بقدرها، فأحللنا محلَّ الفائزين. وهذا هو سرُّ إرسال الأنبياء

وبعث المرسلين والأصفياء، لُنصَّبَ بصيغ الكرام، ومنتظم في سلك الائتنام، ونرث الأولين من المقرَّبِينَ المنعمِينَ.

ومع ذلك قد جرت سُنَّةُ الله أنه إذا أعطى عبداً كمالاً، وطفق الجُهَّال يعبدونه ضلالاً، ويُشركونه بالرب الكريم عزةً وجلالاً، بل يحسبونه ربًّا فعلاً، فيخلق الله مثله، ويُسمِّيه بتسميته، ويضع كمالاته في فطرته، وكذلك يجعل لغيرته لِيُبطل ما خطر في قلوب المشركين. يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل وهم من المسؤولين. يجعل من يشاء كالدرِّ السائغ للاغتداء، أو كالدرَّة البيضاء في اللمعان والصفاء، ويسوق إليه شرباً من التسنيم، ويضمِّخه بالطيب العميم، حتى يُسفر عن مرأى وسيم، وأرج نسيم للناظرين.

فالحاصل أنه تعالى أشار في هذا الدعاء لطلاب الرشاد إلى رحمته العامَّة والوداد، فكأنه قال إني رحيم.. وسعت رحمتي كل شيء.. أجعل بعض العباد وارثاً لبعض من التفضل والعطاء، لأسدُّ باب الشرك الذي يَشيع من تخصيص الكمالات ببعض أفراد من الأصفياء. فهذا هو سرُّ هذا الدعاء، كأنه يُبشِّر الناس بفيض عام، وعطاء شامل لأنام، ويقول إني فياض ورب العالمين، ولست كبحيل وثنين. فاذكروا بيتَ فيضي وما تمَّ، فإن فيضي قد عمَّ وتمَّ، وإن صراطي صراط قد سوِّيَ ومدَّ، لكل من نهض وأعتد واستعدَّ، وطلب كالمجاهدين. وهذه نكتة عظيمة في آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهي إزالة الشرك وسدُّ

أبوابه، فالسلام على قوم استخلصوا من هذا الشرك وعلى من لديهم، وعلى كل من تبعهم من الطالبين الصادقين.

وفي الآية إشارة أخرى، وهي أن الصراط المستقيم هو النعمة العظمى، ورأس كل نعمة وباب كل ما يُعطى، وينتاب العبد نعم الله مُذ أُعطيَ له هذه الدولة الكبرى ومُلْكٌ لا يبلى. ومن تأهَّبَ لهذه النعمة ووفَّقَ للثبات عليها، فقد دُعِيَ إلى كل أنواع الهدى، ورأى العيشَ النضير والنور المنير بعد ليالي الدجى. نجاه الله من كل الهفوات قبل الفوات، وأدخله في زمر التُّقاة بعد مُقاناة العُصاة، وأراه سبل الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما حقيقة الصراط المستقيم، التي أُريدت في الدين القويم، فهي أن العبد إذا أحبَّ ربه المَنَّان، وكان راضيا بمرضاته وفوض إليه الروح والجنان، وأسلم وجهه لله الذي خلق الإنسان، وما دعا إلا إياه، وصافاه وناجاه، وسأله الرحمة والحنان، وتنبَّه من غشيه، واستقام في مشيه، وحشي الرحمن، وشغفه الله حبًّا وأعان، وقوى اليقين والإيمان، فمالَ العبد إلى ربه بكل قلبه، وإربه وعقله، وجوارحه وأرضه وحقله، وأعرضَ عما سواه، وما بقي له إلا ربه وما تبع إلا هواه، وجاءه بقلب فارغ عن غيره، وما قصد إلا الله في سبل سيره، وتاب من كل إدلال واغترار بمال وذي مال، وحضَّرَ حضرةَ الرب كالمساكين، ووَدَّرَ العاجلةَ وألغاهَا، وأحبَّ الآخرةَ وابتغاهَا، وتوكَّلَ على الله، وكان لله، وفنى في الله، وسعى إلى الله

كالعاشقين.. فهذا هو الصراط المستقيم الذي هو منتهى سير السالكين، ومقصد الطالبين العابدين. وهذا هو النور الذي لا يحلّ الرحمة إلا بعد حلوله، ولا يحصل الفلاح إلا بعد حصوله، وهذا هو المفتاح الذي يُناجي السالكُ منه بذات الصدور، وتُفتح عليه أبواب الفراسة، ويُجعل مُحدثًا من الله الغفور.

وَمَنْ نَاجَى رَبَّهُ ذَاتَ بَكْرَةٍ بِهَذَا الدَّعَاءِ بِالْإِخْلَاصِ وَإِحْضِ النَّيَّةِ، وَرِعَايَةِ شَرَايِطِ الْإِتْقَانِ وَالْوَفَاءِ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَحِلُّ مَحَلَّ الْأَصْفِيَاءِ وَالْأَحْبَاءِ وَالْمُقَرَّبِينَ. وَمَنْ تَأَوَّهَ آهَةَ الثَّكْلَانِ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ الْمَنَّانِ، وَطَلَبَ اسْتِجَابَةَ هَذَا الدَّعَاءِ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ، خَاشِعًا مَبْتَهَلًا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، فَيُسْتَجَابَ دَعَاؤُهُ وَيُكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَيُعْطَى لَهُ هِدَايَهُ، وَتُقَوَّى لَهُ عَقِيدَتُهُ بِالذَّلَائِلِ الْمُنِيرَةِ كَالْيَاقُوتِ، وَيُقَوَّى لَهُ قَلْبُهُ الَّذِي كَانَ أَوْهَنَ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَيُوفَّقُ لِتَوْسِعَةِ الذَّرْعِ وَدَقَائِقِ الْوَرَعِ، فَيُدْعَى إِلَى قَرَى الرُّوحَانِيِّينَ، وَمَطَائِبِ الرَّبَانِيِّينَ. وَيَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ غَالِبًا عَلَى هَوَى مَغْلُوبٍ، وَيَقُودُهُ بِرِعَايَةِ الشَّرْعِ حَيْثُ يَشَاءُ كَأَشْجَعِ رَاكِبٍ عَلَى أَطْوَعِ مَرْكُوبٍ، وَلَا يَبْغِي الدُّنْيَا وَلَا يَتَعَنَّى لِأَجْلِهَا، وَلَا يَسْجُدُ لِعَجْلِهَا، وَيَتَوَلَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَتَكُونُ نَفْسُهُ مَطْمَئِنَّةً وَلَا تَبْقَى كَالْمَيْدِ الْمُضِلِّ، وَلَا تُحْمَلِقُ حَمَلِقَةَ الْبَازِ الْمُطِلِّ، وَيَرَى مَقَاصِدَ سُلُوكِهِ كَالْكَرَامِ، وَلَا تَكُونُ سُحْبَهُ كَالْجَهَامِ، بَلْ يَشْرَبُ كُلَّ حِينٍ مِنْ مَاءِ مَعِينٍ.

وحثَّ الله عباده على أن يسألوه إدامةً ذلك المقام، والتثبَّت عليه والوصول إلى هذا المرام، لأنه مقام رفيع، ومرام منيع، لا يحصل لأحد إلا بفضل ربه، لا بجهد نفسه، فلا بد من أن يضطر العبد لتحصيل هذه النعمة إلى حضرة العزة، ويسأله إنجَاحَ هذه المُنِيَّة بالقيام والركوع والسجدة والتمرغ على تُرْبِ المَدَّة، باسطاً ذيل الراحة، ومتعرضاً للاستماعة، كالسائلين المضطرين.

وجملة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى رعاية حسن الآداب، والتأدب مع ربِّ الأرباب، فإن للدعاء آداباً، ولا يعرفها إلا من كان تَوَّاباً، ومن لا يُبالي الآداب، فيغضب الله عليه إذا أصرَّ على الغفلة وما تاب، فلا يرى من دعائه إلا العقوبة والعذاب، فلأجل ذلك قلَّ الفائزون في الدعاء، وكثر الهالكون لِحُجْبِ العُجْبِ والغفلة والرياء. وإن أكثر الناس لا يدعون إلا وهم مشركون، وإلى غير الله متوجهون، بل إلى زيد وبكر ينظرون، فالله لا يقبل دعاء المشركين، ويتركهم في بيدائهم تائهين، وإن حَبْوة الله قريب من المنكسرين. وليس الداعي الذي ينظر إلى أطراف وأنحاء، ويختلب بكل برق وضياء، ويريد أن يُترع كُمَّه ولو بوسائل الأصنام، ويعلو كلَّ ربوة راغباً في حَبْوة، ويبغي معشوق المرام ولو بتوسل اللثام، والفاسقين. بل الداعي الصادق هو الذي يتبتل إلى الله تبتيلاً، ولا يسأل غيره فتيلاً، ويجيء الله كالمنقطعين المستسلمين، ويكون إلى الله سيره، ولا يعبأ بمن هو غيره، ولو كان من الملوك والسلاطين. والذي يكبَّ

على غيره، ولا يقصد الحق في سيره، فهو ليس من الداعين الموحّدين، بل كزامة الشياطين، فلا ينظر الله إلى طلاوة كلماته، وينظر إلى خبثه نيّاته، وإنما هو عند الله، مع حلاوة لسانه وحسن بيانه، كمثّل روث مفضّض، أو كنيف مبيّض، قد آمنت شفتاه وقلبه من الكافرين. فأولئك الذين غضب الله عليهم وهم المرادون من قوله: ﴿الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. إنهم دُعُوا إلى سُبُلِ الحق فتركوها بعد رؤيتها، وتخيروا المفاسد بعد التنبه على خبثتها، وانطلقوا ذات الشمال وما انطلقوا ذات اليمين، وإنهم ركنوا إلى الميّن وما بقي إلا قيّد رُحَيْنِ، وعدموا الحق بعد ما كانوا عارفين.

وأما الضالون الذين أُشير إليهم في قوله وَعَجَلٌ: ﴿الضَّالِّينَ﴾ فهم الذين وجدوا طريقاً طامساً في ليل دامس، فزاعوا عن المحجة قبل ظهور الحجة، وقاموا على الباطل غافلين. وما كان مصباح يؤمّنهم العثار، أو يبيّن لهم الآثار، فسقطوا في هوة الضلال غير متعمدين. ولو كانوا من الداعين بدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لحفظهم ربهم ولأراهم الدين القويم، ولنجاهم من سبل الضلالة، ولهداهم إلى طرق الحق والحكمة والعدالة، ليجدوا الصراط غير ملومين. ولكنهم بادروا إلى الأهواء، وما دعوا ربهم للاهتداء، وما كانوا خائفين، بل لوّوا رؤوسهم مستكبرين. وسرت حمياً العجب فيهم، فرفضوا الحق لهفواتٍ خرجت من فيهم، ولفظتهم تعصباتهم إلى بوادي الهالكين.

فالحاصل أن دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُنجي الإنسان من كل أودٍ وَيُظهِرُ عَلَيْهِ الدين القويم، وَيُخْرِجُهُ من بيت قفرٍ إلى رياض الثمر والرياحين. ومن زاد فيه إلحاحاً، زاده اللهُ صلاحاً. والنيبون أنسوا منه أنسَ الرحمن، فما فارقوا الدعاء طُرْفَةَ عينٍ إلى آخر الزمان. وما كان لأحد أن يكون غنياً عن هذه الدعوة، ولا معرضاً عن هذه المنية، نبياً أو كان من المرسلين. فإن مراتب الرشد والهداية، لا تتم أبداً بل هي إلى غير النهاية، ولا تبلغها أنظارُ الدراية، فلذلك عَلَّمَ اللهُ تعالى هذا الدعاء لعباده، وجعله مدار الصلاة ليتمتعوا برشاده، وليكْمَلِ الناس به التوحيدَ، وليذكُرُوا المواعيد، وليستخلصوا من شركِ المشركين.

ومن كمالات هذا الدعاء أنه يعمُّ كلَّ مراتب الناس، وكلَّ فردٍ من أفراد الأناس. وهو دعاء غير محدود لا حدَّ له ولا انتهاءً، ولا غايَ ولا أرجاءَ، فطوبى للذين يداومون عليه بقلبٍ دامي القرح، وبروح صابرة على الجرح، ونفسٍ مطمئنة كعباد الله العارفين. وإنه دعاء تَضَمَّنَ كلَّ خير وسلامة، وسداد واستقامة، وفيه بشارات من الله رب العالمين.

وقيل إن الطريق لا يُسَمَّى صراطاً عند قوم ذوي قلب ونور، حتى يتضمن خمسة أمور من أمور الدين وهي: (١) الاستقامة (٢) والإيصال إلى المقصود باليقين (٣) وقرب الطريق (٤) وسعته للمارِّين (٥) وتعيينه طريقاً للمقصود في أعين السالكين. وهو تارة

يُضَافُ إِلَى اللَّهِ إِذْ هُوَ شَرَعَهُ وَهُوَ سَوَّى سُبُلَهُ لِلْمَاشِينَ. وَتَارَةً يُضَافُ إِلَى الْعِبَادِ لِكُونِهِمْ أَهْلُ السُّلُوكِ وَالْمَارِّينَ عَلَيْهَا وَالْعَابِرِينَ.

وَالآنَ نَرَى أَنَّ نُؤَازِرُ هَذَا الدَّعَاءَ بِالدَّعَاءِ الَّذِي عَلَّمَهُ الْمَسِيحُ فِي الْإِنْجِيلِ، لِيَتَبَيَّنَ لِكُلِّ مُنْصَفٍ أُيُّهُمَا أَشْفَى لِلْعَلِيلِ، وَأَدْرَأُ لِلْغَلِيلِ، وَأَرْفَعُ شَأْنَا، وَأَتَمُّ بَرَهَانَا، وَأَنْفَعُ لِلطَّالِبِينَ. فَاعْلَمْ أَنَّ فِي إِنْجِيلِ لَوْقَا قَدْ كُتِبَ فِي الْإِصْحَاحِ الْحَادِي عَشَرَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَّمَ الدَّعَاءَ هَكَذَا (٢) *
"فَقَالَ لَهُمْ (يَعْنِي لِلْحَوَارِيِّينَ): مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاوَاتِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِينَ. خُبِّرْنَا كَفَانَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا، لِأَنَّنا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا (يَعْنِي نَغْفِرُ لِلْمَذْنِبِينَ). وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِيرِ." هَذَا دَعَاءُ عَلَّمَ لِلْمَسِيحِيِّينَ.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ دَعَاءٌ يَفْرِطُ فِي الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مَا يَحِيطُ عَلَى مَقَاصِدِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ يَزِيدُ سُورَةَ الْحَسْرَةِ الرَّوْحَانِيَّةِ، وَيَحْرِّكُ الْقُوَى لَطَلْبِ الْأَهْوَاءِ الْفَانِيَّةِ، وَالشَّهَوَاتِ الْمُتَفَانِيَّةِ، مَعَ الذَّهْوِ عَنِ سَعَادَاتِ يَوْمِ الدِّينِ. وَمِنْ جَمَلَةٍ جُمَلَةٍ فَقَرَةٌ.. أَعْنِي "لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ"، فَانظُرْ فِيهَا بِعَقْلِكَ وَفَهْمِكَ.. هَلْ تَجِدُهُ حَرِيًّا بِشَأْنِ الْأَكْمَلِ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ حَالَةٌ مُنْتَظَرَةٌ مِنْ حَالَاتِ الْكَمَالِ، وَلَا مَرْتَبَةٌ مُتَرَقِّبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِ التَّقَدُّسِ وَالْجَلَالِ؟ فَإِنَّ الْحَامِدَ وَالتَّقَدِّسَاتِ كُلَّهَا ثَابِتَةٌ لِحَضْرَةِ

* أي الفقرة الثانية من الإصحاح المذكور. (الناشر)

العزة، ولا يُنتظر شيء منها في الأزمنة الآتية، وهذا هو تعليم القرآن، وتلقين كلام الله الرحمن، كما مرّ كلامنا في هذا البيان. ومن أقبلَ على الفرقان المجيد، وفهمه وتدبّرَ ونظره بالنظر السديد، فينكشف عليه أن الفرقان قد أكمل في هذا الأمر البيان، وصرّح بأن الله كمالاتاً، وكل كمال ثابت له بالفعل وليس فيه كلام، وتجويز الحالة المنتظرة له جهلاً وظلم واجترام. وأما الإنجيل فيجعل البارئ عز اسمه محتاجاً إلى الحالة المنتظرة، وضاجراً لكمالات مفقودة غير الموجودة، ولا يقبل وجود كمال شجرته، بل يُظهر الأمانى لإيناع ثمرته، وليس قائل استنارة بدره، بل ينتظر زماناً علوّ قدره. كأن ربّ الإنجيل واجمّ من فقد المرادات، وعاجز عن إمضاء الإرادات. وكم من ليلة باتها ينتظر كمالات، ويتربّع تغير حالات، حتى يئس من أيام رشاده، وأقبل على عباده ليتمنوا له حصول مراده، وليعقدوا المهمم لزوال كَمَدِه، وعلاج رَمَدِه. سبحان ربنا إن هذا إلا بُهتان مبین. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ما للبلبال وربّ ذي الجلال، رب العالمين؟

ثم دعاء المسيح دعاءً لا أثر فيه من غير التنزيه.. كأنه يقول إن الله منزّه عن الكذب والتمويه، ولكن لا توجد فيه كمالات أخرى، ولا من الصفات الثبوتية أثرٌ أدنى، فإن التنزيه والتقديس من الصفات السلبية كما لا يخفى على ذوى المعرفة والبصيرة، وأما الصفات السلبية فهي لا تقوم مقام الإثبات كما ثبت عند الثقات.

وأما ما عَلَّمَنَا القرآن من الدعاء، فهو يشتمل على جميع صفات كاملة توجد في حضرة الكبرياء، ألا ترى إلى قوله **﴿عَلَّمَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**، كيف أحاط صفات الله جُموعَهَا، وتَأَبَّطَ أصولها وفروعها؟ وأشار في: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** أن الله ذاتٌ لا تُحصى صفاته، ولا تُعدَّ كمالاته، وأشار في: **﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** أن وَبَلَ ربوبيته يعمُّ السماوات والأرضين، والجسمانيين والروحانيين. وأشار في: **﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾** أن الرحمة بجميع أنواعها من الله القيوم القديم، والخالق الكريم، وأشار في قوله: **﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾** أن مالكَ المجازاة هو الله لا غيره من المخلوقين، وأن أبحرَ المجازاة جارية وهي تمرُّ مرَّ السحاب كل حين، وكل ما يرى عبدٌ من فضل الله وإحساناته بعد أعمالٍ صالحة، وصدقه وصدقته، فإنما هو صنعة مجازاته. ففي هذه المحامد إشارات رفيعة عالية، ودلالات لطيفة متعالية، على كل كمال لحضرة الله جامع كلِّ جمال وجلال. ثم من المعلوم أن اللام في: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** للاستغراق، فهو يشير إلى أن المحامد كلها لله بالاستحقاق.

وأما دعاء الإنجيل.. أعني "ليتقدس اسمك" فلا يشير إلى كمال، بل يخبر عن خطرات زوال، ويُظهِر الأمانى لتقديس الرحمن، كأن التقديس ليس له بحاصل إلى هذا الآن. فما هذا الدعاء إلا من نوع الهذيان، فإنك تعلم أن الله قُدُّوسٌ من الأزل إلى الأبد، كما هو يليق

بالأحد الصمد، فهو منزّه ومقدس من كل التدنسات، في جميع الأوقات، إلى أبد الآبدين، وليس محروما ومن المنتظرين.

ثم قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ رُدُّ لطيف على الدهريين والملحدين والطبيعيين الذين لا يؤمنون بصفات الله المجيد، ويقولون إنه كعلة موجبة وليس بالمدبر المرید، ولا يوجد فيه إرادة كالمنعمين والمعطين. فكأنه يقول كيف لا تؤمنون برب البرية وتكفرون بربوبيته الإرادية، وهو الذي يُربي العالمين، ويغمر بنواله، ويحفظ السماوات والأرض بقدرته وجلاله، ويعرف من أطاعه ومن عصا، فيغفر المعاصي أو يؤدّب بالعصا، ومن جاءه مطيعاً فله جنتان، وحفت به فرحتان، فرحة تصيبه من اسم الرحيم، وأخرى من الرحمن القديم، فيُجزى جزاءً أوفى من الله الأعلى، ويُدخل في الفائزين.

ولا شك أن هذه الصفات تجعل الله مستحقاً للعبادة، معطياً من عطايا السعادة، وأما التقديس وحده، كما ذكر في الإنجيل، فلا يُحرّك الروح للعبادة، بل يتركها كالنائم العليل.

وأما سرُّ هذا الترتيب الذي اختاره في الفاتحة ربُّنا المجيد ذو المجد والعزة، وذكر المحامد قبل ذكر الدعاء والعبادة، فاعلم أنه فعل ذلك ليدرك عباده عظمة صفات الباري ذي المجد والعلاء قبل الدعاء، ويشير إلى أنه هو المولى لا مُنعم إلا هو، ولا راحم إلا هو، ولا مُجازي إلا هو، ومنه يأتي كل ما يأتي العباد من الآلاء والنعماء.

وهذا الترتيب أحسنٌ وللروح أنفع، فإنه يُظهرُ على السعيد منن الله الرحيم، ويجعله مستعدًّا ومقبلاً على حضرة القدير الكريم، ويظهرُ منه تموجٌ تامٌّ في أرواح الطلبة، كما لا يخفى على أهل الدهاء. وأما تخصيص ذكر الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية في الدنيا والآخرة.. فلأجل أن هذه الصفات الأربعة أمّهاتٌ لجميع الصفات المؤثّرة المفيضة، ولا شك أنها محرّكات قويّة لقلوب الداعين.

ثم الإنجيل يذكر الله تعالى باسم الأب، والقرآن يذكره باسم الرب، وبينهما بون بعيد، ويعلمه من هو زكي وسعيد، وإن لم يعلمه من كان من الجاهلين. فإن لفظ الأب لفظٌ قد كثر استعماله في المخلوقين، فنقله إلى الرب تعالى فعلٌ فيه رائحة من الإشراك، وهو أقرب للإهلاك كما لا يخفى على المتدبرين.

ثم اعلم أن شكر المحسن المَنَّان أمرٌ معقول مسلمٌ عند ذوي العقول والعرفان، وإذا كان المحسن مع إحسانه العام ورحمه التام، خالق الأشياء وقيوم العالم من الابتداء إلى الانتهاء، وكان في يده كل أمر الجزاء، فيضطر الإنسان طبعاً ليرجع إلى جنبه، ويتذلل على بابه، وينجو من تبابه، وإذا وجده فلا يتأوَّبُه عنده همٌّ، ولا يُفزعُه وهمٌّ، ويكون من المطمئنين. وهذا الأمر داخلٌ في فطرته، ومركوز في جبلّته، ومتنقشٌ في مُهَجّته، أنه يطلبُ صاحبَ هذه الصفات عند الترددات، ويؤمُّ به المخرج من المشكلات. والطالبون يتعاطون بذكره كأسَ المناقشة، ويقنطحون لطلبه زنادَ المباحثة، ويجوبون

البراري والفلوات، ويطلبون أثر ذلك الجامع للبركات، وقاضي الحاجات، ويبيتون مجاهدين. فبشّر الله عباده أنه هو، وأنه مقصد ملامح عيوتهم، ومقصود مرامي لحظهم، ومدار شؤوهم، فليطلبوه إن كانوا طالبين. ومن هذا المقام يظهر عظمة الفاتحة، وكونه من الله العلام، فإنها مملوءة من كل دواء، وعلاج لكل داء، ومنجى من كل بلاء، يقوي الضعفاء، ويبشّر الصلحاء، ويفتح أبواب الخير وسدده، ويعطي كل ذي رشد رشده، إلا الذي أحاط عليه غباوته وشقاوته فصار من الهالكين.

وانظر إلى كمال ترتيب الفاتحة من الله ذي الجلال والعزة، كيف قدّم ذكر اسم الله في العبارة، وجعله سرّاً مجملاً لتفاصيل الصفات الأربعة، وزين العبارة بكمال لطائف البلاغة، ثم أردفه صفة الربوبية العامة، فإن الله كان ككنز مخفي من أعين أهل المعرفة، فأول ما عرفه كانت ربوبيته بكمال الحكمة والقدرة. ثم ذكر الله في الفاتحة رحمانية وبعدها رحيمية وقفّاهما مالكية، فوضعها طباقاً، وطبّقها إشراقاً، وجعل بعضها فوق بعض وضعاً، كما كان مدارجها طبعا، وفيه آيات للمتدبرين. وعلم الله عباده أن يقدموا هذه المحامد بين يديه، ويسألوا الهداية والاستقامة بعد الثناء عليه، لتكون هذه الصفات وتصوّرها سبباً لفور عيون الروحانية، ووسيلة للحضور والذوق والمواجيد التعبديّة، وليستجاب الدعاء بهذا الحضور، ويكون موجبا لأنواع السرور والنور والبعد عن المعاصي والفجور، لأن

العبد إذا عرف أنه يعبد ربًّا أحاط ذاته جميع أنواع المحامد، وهو قادر على أن يستجيب جميع أدعية المحامد، وعرف أنه ربٌّ عظيم يوجد فيه جميع أنواع الربوبية، ورحمن كريم يوجد فيه جميع أقسام الرحمانية، ورحيم قديم يوجد فيه كل أصناف الرحيمية، ومالكُ مجازاة يقدر على أن يجزي كل ذي مرتبة في الإخلاص على حسب المرتبة، فيجد ذاته عظيم الشأن في القدرة، ويجد عظمة صفاته خارجةً من الإحاطة، فيسعى إلى بابه، ويبادر إلى جنبه، قائلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيجمع في هذا الكلام انكسار العبد وجلال رب العالمين. فهذا الاجتماع المبارك يقطع عرق الاسترابة، ويكون سببا قريبا للاستجابة، فيكون الداعي من المقبولين، بل ممن لا يشقى بهم جليس، ولا يقربهم غولٌ ولا تليس، ولا يخيب فيهم مظنون، وتُرفع حُجُبهم فلا يُطوى دونهم مكنون، فيطلع على ما حَكَّ في صدور الناس، وعلى أمور سماوية متعالية عن طور العقل والقياس، ويدخل في أهل السرِّ والقرب والمكلمين. ويكون له الرب الكريم كالخلِّ الودود، والخذن المودود، بل أقرب من كل قريب، وأحبَّ من كل حبيب، ويكون كلامه أحلى من كل شربة، وإلهامه أذَّ من كل لذة، ويدخل الله في القلب ويشغفه حبًّا، وينظر إلى المحبِّ فيجعلهُ لبًّا، ويصبِّغه بصبغ المتبتلين. ويأتيه منه البرهان، والنور واللمعان، والعلم والعرفان، فلا يسعه الكتمان، ولو اختفى في مغارة الأرضين، فسبحان ربِّنا ربِّ الأولين والآخرين.

واعلموا أيها الناظرون والعلماء المستبصرون أن عيسى عليه السلام علم تمهيداً قبل الدعاء، والقرآن علم تمهيداً قبل الدعاء، والفرق بينهما ظاهر على أهل الدهاء، فإن تمهيد القرآن يُحرّك الروح إلى عبادة الرحمن، ويحرّك العباد إلى أن ينتجعوا حضرته بإحاض النية وإخلاص الجنان، ويظهر عليهم أنه عين كل رحمة وينبوع جميع أنواع الحنان، ومخصوص باسم الرب والرحمن والرحيم والديان، فالذين يطلعون على هذه الصفات فلا يزالون أهلها ولو سقطوا في فلات الممات، بل يسعون إليه ويوطنون لديه بصدق القلب وصحة النيات، ويتراكمون إليه خيلهم ويسعون كالمشوق، ويضطرم فيهم هوى المعشوق، فلا يناقش أهواءً أخرى عند غلبة هوى رب العالمين. فثبت أن في تمهيد هذا الدعاء تحريكا عظيما للعابدين، فإن العبد إذا تدبّر في صفات جعلها الله مقدّمة لدعاء الفاتحة، وعلم أنها مشتملة على صفات كماله ونعوت جلاله باستيفاء الإحاطة، ومحرّكة لأنواع الشوق والمحبة، وعلم أن ربه مبدأ لجميع الفيوض، ومنبع لجميع الخيرات، ودافع لجميع الآفات، ومالك لكل أنواع المجازاة، منه يبدأ الخلق وإليه يرجع كل المخلوقات، وهو منزّه عن العيوب والنقائص والسيئات، ومستجمع لسائر صفات الكمال وأنواع الحسنات، فلا شك أنه يحسبه مُنَجِّحَ جميع الحاجات، ومُنَجِّياً من سائر الموبقات، فيكابد في ابتغاء مرضاته كلّ المصائب، ولو قُتل بالسّمّ الصائب، ولا يُعجزه الكروب، ولا يدري ما اللغوب، ويجذبه

المحبوب، ويعلم أنه هو المطلوب، ويسر له استقراء المسالك لتطلب مرضاة المالك، فيجاهد في سبيله ولو صار كالهالك، ولا يخشى هول بلاء، وينبزي لكل ابتلاء، ولا يبقى له من دون حبه الأذكار، ولا تستهويه الأفكار، وينزل من مطية الأهواء، ليمتطي أفراس الرضاء، ويضفر أزيمة الابتغاء، ليقطع المسافة النائية لحضرة الكبرياء، ويظل أبداً له مدنياً، ولا يجعل له ثانيا من الأحباء، ولا يعتور قلبه بين الشركاء، ويقول يا ربّ تسلّم قلبي، وتكفيني لجذبي وجلي، ولن يصيبني حسن الآخرين.

هذه نتائج تمهيد دعاء الفاتحة، وأما تمهيد دعاء عيسى عليه السلام فقد عرفت حقيقته، وما فيه من الآفة، فلا حاجة إلى الإعادة، فتفكر في إيماضي، وتندّم من زمان ماضي، وكُن من التائبين. ثم بعد ذلك ننظر إلى دعاء علمه عيسى، وإلى دعاء علمه ربنا الأعلى، ليتبين ما هو الفرق بينهما لذي النهى، ولينتفع به من كان من الصالحين.

فاعلم أن عيسى عليه السلام علم دعاءً يتزرى عليه إنصافنا، أعني: "حُبِرْنَا كِفَانًا"، وأما القرآن فعافَ ذَكَرَ الحُبِزِ والماءِ في الدعاء، وعلمنا طريق الرشد والاهتداء، وحثَّ على أن نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ونطلب منه الدين القويم، ونعوذ به من طرق المغضوب عليهم والضالين، وأشار إلى أن راحة الدنيا والآخرة تابعة

لطلب الصراط وإخلاص الطاعة، فانظرْ إلى دعاء الإنجيل ودعاء القرآن من الرب الجليل، وكن من المنصفين.

وأما ما جاء في دعاء عيسى ترغيب في الاستغفار، فهو تأكيد لدعاء طلب الخبز كأهل الاضطرار، لعل الله يرحم ويعطي خبزاً كثيراً عند هذا الإقرار، فالاستغفار تضرُّعٌ لطلب الرغفان، وأصل الأمر هو طلب الخبز من الله المتأن. ويثبت من هذا الدعاء أن أكثر أمم عيسى كانوا عشاق الذهب واللجين، وهاجري الحق للحجرين، وبائعي الدين بينخس من الدراهم، ومختبني خلاصة النض وتاركي ذيل الرب الراحم، والعائين عاصين. وحبَّ إليهم أن يتخذوا الطمع شرعةً، وحبَّ الدنيا نُجعةً. فاستشرف الأناجيل ليظهر عليك صدق ما قيل، واثق الرب الجليل، ودع الأقاويل، ولا تحسب الحق الصريح كالمعضلات، واستوضح مني المشكلات، لأخبرك عن أبناء العصاة والمنجيات والمهلكات، ففتش الحق قبل حُوم الحمام، وهجوم الآلام، ونزع الروح وحصر الكلام، واعلم أن الخير كله في الإسلام، فطوبى للذي ضرب الخيام في هذا المقام، وقوى يقينه بالإلهام ووحى الله العلام، ورداه الله رداء الإكرام.

إن المسلمين قوم سجايهم إعلاء كلمة التوحيد، وبذل النفس ابتغاء مرضاة الله الوحيد، وصلحائهم يتأففون من الدنيا بل من الإمرة، ولا يتخيرون لأنفسهم إلا وجه رب ذي العزة، ولا يُشجيهم إلا أن غفلة من ذكر الحضرة، يتوكلون عليه ويطلبون منه هداه، ولا

يركنون إلى الخلق بل يبتغون حُباه، ويمشون في الأرض هونًا، ولا يبطشون جبارين. وشأنهم إطالةُ الفكرة، وتحقيق الحق وتنقيح الحكمة. يراعون في الرياسة تهذب السياسة، وفي أوان الخصاصة والافتقار آداب التبصر والاصطبار. ولا تفاضل فيهم إلا بتفاضل التقوى والتقاة، ولا ربَّ لهم إلا ربَّ الكائنات. وكل ذلك أنوار حاصلة من الفاتحة كما لا يخفى على أهل الفطرة الصحيحة والتجربة. فالحق أن الفاتحة أحاطت كل علم ومعرفة، واشتملت على كل دقيقة حقٍّ وحكمة، وهي تجيب كل سائل، وتذيب كل عدو صائل، ويطعم كل نزيلٍ إلى التضييف مائلٍ، ويسقي الواردين والصادرين. ولا شك أنها تزيل كل شك خيب، وتجيح كل هم شيب، وتعيد كل هُدوٍ تعيب، وتُخجل كل خصيم نيب، ويشر الطالبين. ولا معالج كمثلُه لسمِّ الذنوب وزيع القلوب، وهو الموصل إلى الحق واليقين.

وأما الهداية التي قد أمرنا لطلبها في الفاتحة فهو اقتداءً محامد ذات الله وصفاته الأربعة، وإلى هذا يشير اللام الذي موجود في: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ويعرفه من أعطاه الله الفهم السليم. ولا شك أن هذه الصفات أمهات الصفات، وهي كافية لتطهير الناس من الهنات وأنواع السيئات، فلا يؤمن بها عبد إلا بعد أن يأخذ من كل صفة حظَّه ويتخلق بأخلاق رب الكائنات. فمن استفاض منها فُيُفْتَحَ عليه باب عظيم من معرفة الرب المحبوب، وتتجلى له عظمتُه،

فتحصّل الأمانةُ والتنفّرُ من الذنوب، والسكينةُ والإخبات والامتثال الحقيقي والخشية والأنس والذوق والشوق والمواجيد الصحيحة والمحبة الذاتية المُفنية المحرقة بإذن الله مُربّي السالكين.

وهذه كلها ثمرات التدبير في مضامين الفاتحة، فإنها شجرة طيبة تؤتي كلّ حين أُكلاً من المعرفة، ويروي من كأس الحق والحكمة، فمن فتح باب قلبه لقبول نورها، فيدخل فيه نورها، ويطلع على مستورها، ومن غلّق الباب فدعا ظلمته إليه بفعله، ورأى التبابَ ولحق بالهالكين.

ثم اعلم أن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على أن السعادة كلها في اقتداء صفات رب العالمين. وحقيقة العبادة الانصباعُ بصيغ المعبود، وهو عند أهل الحق كمال السعود، فإن العبد لا يكون عبداً في الحقيقة عند ذوي العرفان، إلا بعد أن تصير صفاته أظلالاً لصفات الرحمن، فمن أمارات العبودية أن تتولد فيه ربوبيةٌ كربوبية حضرة العزة، وكذلك الرحمانية والرحيمية وصفة المجازاة، أظلالاً لصفات الحضرة الأحدية. وهذا الصراط المستقيم الذي أمرنا لنطلبه، والشرعة التي أوصينا لنرقبها من كريم ذي الفضل المبين.

ثم لما كان المانع من تحصيل تلك الدرجات الرياء الذي يأكل الحسنات، والكبر الذي هو رأس السيئات، والضلال الذي يُبعد عن طرق السعادات، أشار إلى دواء هذه العلل المهلكات، رحمةً منه على

الضعفاء المستعدّين للخطيئات وترحمًا على السالكين، فأمر أن يقول الناس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِيُستخلصوا من مرض الرياء، وأمر أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِيُستخلصوا من مرض الكبر والخيلاء، وأمر أن يقولوا: ﴿أَهْدِنَا﴾ لِيُستخلصوا من الضلالات والأهواء. فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثٌّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى طلب القوّة والثبات والاستقامة، وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ إشارة إلى طلب علمٍ من عنده وهداية من لدنه لطفًا منه على وجه الكرامة. فحاصل الآيات أن أمر السلوك لا يُتمّم أبدًا ولا يكون وسيلةً للنجاة إلا بعد كمال الإخلاص وكمال الجهد وكمال فهم الهدايات، بل كلُّ خادم لا يكون صالحًا للخدمات إلا بعد تحقُّق هذه الصفات. مثلاً.. إن كان خادم مخلصًا وموصوفًا بأوصاف الأمانة والخلوص والعفة، ولكن كان من الكسالى والوانين القاعدين، وكالضُّجعة النومة، لا من أهل السعي والجهد والجدّ والقوّة، فلا شكّ أنه كلّ على مولاه، ولا يستطيع أن يتّبع هداه ويكون من المطاوعين. وخادم آخر مخلص أمين، ومع ذلك مجاهد وليس بقاعد كالآخرين، ولكنه جهول لا يفهم هدايات مخدومه، ويُخطئ ذات مرارٍ كالضالين؛ فمن جهله ربما يجترئ على المنوعات، ويوقع نفسه في المخاطر والمحظورات، ويبعد عن مرضاة المولى من جهل جاذب من الجهلات، وربما يضيع نفائس المولى ودُرره وجواهره، من كمال جهله وحمقه وسوء فهمه، ويضع الأشياء في غير محلها من

زيغ وهمه، فهذا الخادم أيضا لا يستطيع أن يستحصل مرضاة المخدوم، ويُسقطه جهله كل مرة عن أعين مولاه فيبكي كالموقوم، وكذلك يعيش دائما كالملعون الملموم، ولا يكون من الممدوحين. بل يراه المولى كالمحوس، الذي لا يأتي بخير في سير، ويخرب بقعته ورحاله وأمواله في كل حين. وأما الخادم المبارك والعبد المتبرك الذي يُرضي مولاه، ولا يترك نكتة من هداه، ويسمع مرحباه، فهو الذي يجمع في نفسه هذه الثلاث سوياً، ولا يؤذي مولاه بخيانة وحدل، ولا يُطحطحه بكسل أو جهل، فيصير عبداً مرضياً. فهذه هي الأُشراط الثلاثة للذين يسلكون سبل ربهم مسترشدين. وفي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى الشرط الأول، وإلى الشرط الثاني في ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وإلى الثالث في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾. فطوبى للذين جمعوا هذه الثلاث ورجعوا إلى ربهم كاملين، وتأدبوا مع ربهم بكل الأدب، وسلكوا بكل شريطة غير قاصرين. فأولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ودخلوا حظيرة القدس آمنين. ولما كانت هذه الشرائط أهم الأمور للذي قصد سبل النور، جعلها الله الحكيم من أجزاء الدعاء، ليتدبر السالك كالعقلاء، وليستبين سبيل الخائنين.

وهذا آخر ما أردنا في هذا الكتاب بفضل رب الأرباب، والحمد لله رب العالمين. والسلام على سيدنا ورسولنا محمد خاتم النبيين. رَبِّ أَمْطِرْ مَطَرَ السَّوْءِ عَلَى مَكْذِبِيهِ، واجعلنا من المنصورين. آمين.

إتمام الحجة على المكفرين من العلماء والمشايخ كلهم أجمعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.. فإني قد سمعتُ أنكم أيها الإخوان كفرتموني، وكذبتموني وحسبتموني مفترياً، وناضلتموني حتى نُثِلتِ الكنائسُ، وتبيّنَ الحق وظهر الأمر الكائن، ولكن ما ركدتُ زعازِعُكم، وما أخذتكم هيبةُ الحق، بل جُزّتم عن القصد جدّاً، وحسبتم الحق شيئاً إداً، وكنتم على قولكم من المصرّين.

فلما ارتبتم في أمري وصرتم قرينَ الخناسِ، ونَجِيَّ الوسواسِ، توجّستُ ما هجّس في أفكاركم، وفطنت لما بطن من استنكاركم، فصنّفتُ كتباً قد حُسُنَ ترتيبها، وصُفِّفَ فوجُ تعاجيبها، وجمعتُ على التحقيق صفاء الدرّ، وسكّرَ الرحيق، وقنّوء العقيق، وكان فيها إزعاجُ أوهام المتوهمين، وعلاجُ نزغات الشياطين، وإصلاح نزوات المفسدين، وبيان إعنات الباغين، ومعاناة الطاغين، ومعاداة العادين، وحيل المحتالين، وسطوة الجائرين، وكيد الكائدين، مع كثير من الدلائل والبراهين. وكانت أسماءها: ^(١) "فتح الإسلام"، ^(٢) و"توضيح المرام"، ^(٣) و"إزالة الأوهام"، ^(٤) و"مرآة كمالات الإسلام".

ولكنكم ما رأيتم وتعاميتم، وكفرتم داعيَ الله وعصيتم، وكنتم قوما عادين. وأصررتم على إنكاركم حتى انتهى أمركم إلى تكفير المسلمين ولعن المؤمنين، وكذبتهم أسراراً لم تحيطوا بها، وعنفتموني على ما لم تعلموا حقيقته، وكنتم تضحكون عليّ مرتاحين. وكم من دلو أدليتُها إلى أنهاركم، لعلّي أجد قطرة من علمكم وأخباركم، ولكنها لم ترجع بيّلة، ولم تجتلب نَقَعُ غُلَّةٍ، وما زادني سُؤلي منكم غيرَ يأسٍ وقنوطٍ ودُرْخَمِينَ. فاسترجعتُ على انقراض العلم ودروسه، وأفول أقماره وشموسه، وذرفتُ عيناى على حال قوم فيه تلك العلماء الذين هم معروق العظم، والمبعدون من أسرار الدين. ومع ذلك وجدتُ كل واحد منكم سادراً في غلوائه، وسادلاً ثوب خيلائه، ومُفارقاً من أرجاء حياته، ومن أكابر المفسدين.

فلما انسرتُ جلابُ خَفَرِكُمْ، وأماطت جذباتُ النفس خضراءَ قَفَرِكُمْ، وتواترتُ ریحُ دَفَرِكُمْ، فهمتُ أن النصح لا يأخذ فيكم، ولا ينفعكم قولُ ناصح كما لا ينفع المتمردين. فتأوهتُ آهةَ الشكّان، وعيناى تَهْمَلان، ودعوتُ الله أياماً، سُجَّداً وقياماً، وخررتُ أمامَ حضرته، واستطرحت بين يديه، مبتغيّاً إليه أذيالَ وسيلته، ورفعتُ صرخي كعقيرة المتألمين.

فرأى الله بُرْحائي، واعتدأ أعدائي، وقلةَ أخلّائي، وبشرني بفتوحات وآيات وكرامات، ومَنَّ عليّ بتأييده المبين. فمنها ما وعدني ربي في عشيرتي الأقربين، أنهم كانوا يكذبون بآيات الله

وكانوا بها يستهزئون، ويكفرون بالله ورسوله، وقالوا لا حاجة لنا إلى الله ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله خاتم النبيين. وقالوا لا نتقبل آية حتى يُرينا الله آية في أنفسنا، وإنا لا نؤمن بالفرقان، ولا نعلم ما الرسالة وما الإيمان، وإنا من الكافرين. فدعوتُ ربي بالتضرع والابتهال، ومددتُ إليه أيدي السؤال، فألهمني ربي وقال سأريهم آية من أنفسهم، وأخبرني وقال إنني سأجعل بنتًا من بناتهم آية لهم، فسمّاها وقال إنها ستُجعلُ ثيبَةً، ويموتُ بعُلمها وأبوها* إلى ثلاث سنة من يوم النكاح، ثم نردها إليك بعد موتهما، ولا يكون أحدهما من العصامين. وقال إنا رادّوها إليك، لا تبديل لكلمات الله، إن ربك فعّال لما يريد. فقد ظهرَ أحد وعديهِ، ومات أبوها في وقت موعود، فكونوا لوعده الآخر من المنتظرين. فتأملوا في هذا تأمّلَ المتقدم، وانظروا بالمصباح المتّقد، هل هو فعلُ الله تعالى أو كيد المفتريين؟ وهل يجوز أن يستجيب الله دعاءَ ملحد كافر كما يستجيب دعاءَ المقبولين؟ وكيف يخفى أمرُ رجل يُميتُ الله لأجل إعزازه وإجلاله رجلين، ويجعله في أنبائه الغيبية من الصادقين؟ إن الله لا يُظهر على

* واسم بعلمها سلطان محمد ابن محمد بيك، ومحمد بيك ابن نظام الدين، واسم عم بعلمها محمود بيك، وهم سكان قرية منحوسة المسماة "فتى" في ضلع لاهور. واسم أبيها مرزا أحمد بيك، وتُوفّي بعد إلهامي هذا في ميعاد الإلهام. وأما بعلمها سلطان محمد فحفيّ، وبقي من ميعاد موته قريباً من السنة. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. منه. ١ صفر سنة ١٣١٠هـ.

غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسولٍ الذي أرسله لإصلاح الخلق في زيِّ الأنبياء والمحدّثين.

ومنها ما وعدني ربي واستجاب دعائي في رجل مفسد عدو الله ورسوله المسمى ليكهرام الفشاوري، وأخبرني أنه من الهالكين. إنه كان يسبّ نبيَّ الله ويتكلم في شأنه بكلمات خبيثة، فدعوتُ عليه، فبشّرني ربي بموته في ستّ سنة، إن في ذلك لآية للطلابين.

ومنها ما وعدني ربي إذ جادلني رجل من المنتصرين الذي اسمه عبد الله آثم العنبرسري، إنه كان أراد أن يشدّ جبائر الحيلِ على دين النصارى، ويواري سوءه، فصال على الإسلام وكان من المتشددين. وباحثني في حلقة مغتصّة بالأنام، مختصّة بالزحام، وزحرف مكائده لإرضاء الكافرين. فنتيتُ إليه عناني، وأبنتته من معارف بياني، وجعلته من المفحّمين. فما وجم من قلة الحياء، وكان يجمّح في جهالاته ويسدّر في الغلواء. وامتدّت المباحثة إلى نصف الشهر، وكنا نغدو إليه بعد صلاة الفجر، ونرجع في وقت الهجرة عند اشتداد حرّ الظهيرة، وتركنا الاستراحة كالمجاهدين. فبينما أنا في فكر لأجل ظفر الإسلام وإفحام اللثام، فإذا بشّرني ربي بعد دعوتي بموته إلى خمسة عشر أشهر من يوم خاتمة البحث، فاستيقظت وكنّت من المطمئنين. ثم جنّاه واجتمعت الحلقة، وحضر الخاص والعام، وأحضرت الدواة والأقلام، فما لبثتُ أن قعدتُ وأنبأتُ من كل ما أُخبرتُ من رب الأرباب، وأمليته في الكتاب، ثم ارتحلت من دار

غربتي، وحسبت ذلك البحث أفضل قُربتي، وحسبت ذلك النبأ نعمة
من نعماء رب العالمين.

فتفكروا عافاكم الله ولا تعجلوا في تكفيري، ولا تسبوا ولا
تقذفوا، وإن كنتم في شك فانتظروا هذه الأنباء المذكورة، فإنها معيار
لصدقي وكذبي. وإن لم تنتهوا فقد تمت عليكم حجة الله وحجتي،
ولن تضروني شيئاً، وستسألون عند مالك يوم الدين. وإن تتوبوا
وتتقوا فالله لا يُضيع أجر المحسنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.
والصلاة والسلام على سيدِّ وُلدِ آدمَ سيِّدِ الرسل والأنبياء، أصفى
الأصفياء، محمد خاتم النبيين، وآله وأصحابه أجمعين.
أما بعد.. فيقول العبد الضعيف المُفتقر إلى الله القوي الأمين،
نور الدين.. عصمه الله من الآفات، وأدخله في زُمرَةِ الآمنين، وجعله
كاسمه: نور الدين.. إني قد كنتُ لَهَجْتُ مُذْ رَأَيْتُ المَفسدَ من أهل
الزمان، وشاهدتُ تَغْيِيرَ الأديان، أن أُرزقَ رُؤيةَ رجلٍ يَجِدُّ هذا
الدين، ويرجم الشياطين. وكنتُ أرجو هذه المُنِيَةَ لأنَّ الله قد بَشَّرَ
المؤمنين في كتاب مبين، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾* إلى آخر ما قال رب العالمين. وكذا
قال الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيُّ يوحى وهو الصدوق
الأمين عليه السلام: "إن الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَنْ
يجدُّ لها دينها"، فكنتُ لرحمته من المنتظرين. فقصدتُ لهذه البُعِيَةِ
بيتَ الله مهبطَ أنوار الحق واليقين، فكنتُ أجوبُ البراري، وأقطع
الصحاري، وأستقري عبداً من العباد الربانيين.

فتوسَّمتُ في البقعة المباركة المكرَّمة شيخِي الشيخ السيد حسين المهاجر الورع الزاهد التقيِّ، وشيخي الشيخ محمد الخزرجي الأنصاري، وفي طابة الطيبة تشرفتُ بقاء شيخِي وسيدي ومولائي الشيخ عبد الغني المجددي الأحمدي، وكلهم كانوا، كما أظن، من المتّقين، جزاهم الله عنّي أحسن الجزاء، آمين يا رب العالمين. وهؤلاء الشيوخ - رحمهم الله - كانوا على أعلى المراتب من التقوى والعلم، ولكن لم يكونوا على أعداء الدين من القائمين، ولا لشبهاهم مستأصلين، بل في الزوايا متعبدين، وبمناجاة ربهم مُتخلّين.

وما رأيت في العلماء من توجّه إلى دعوة النصارى، والآرية، والبراهمة، والدهريّة، والفلاسفة، والمعتزلة، وأمثالهم من الفرق المضلّين. بل رأيتُ في الهند ما ينيف على تسع مئة ألف من الطلبة رفضوا العلوم الدينية، واختاروا عليها العلوم الإنكليزية، والألسنة الأوربية، واتخذوا بطانةً من دون المؤمنين، وأزِيدَ من ستين ألف ألف رسالة طُبعت في مقابلة الإسلام والمسلمين. هذه المصيبة، وعليها نسمع المشائخ وأتباعهم أنهم يقولون إن الدعوة والمناظرات خلاف دَيْدَنَ أهل الكمال وأصحاب اليقين. وعُلماؤنا.. إلا من شاء الله.. ما يعلمون ما يُفعل بالدين وأهل الدين. والمتكلمون منتهى تدقيقاتهم مسألة إمكان كذب البارئ - نعوذ بالله - وامتناعه لا لتبكي الكافرين وردّ مكائد المعاندين. ومع هذه الشكوى، فنشكر مساعي الشيخ الأجلّ وأستاذه الأكمل رحمة الله الهندي المكي، والدكتور

وزير خان، رحمهما الله تعالى، والسيد الإمام أبي المنصور الدهلوي، والزكي الفطن السيد محمد على الكانفوري، والسيد اللبيب مصنف "تنزيه القرآن"، وأمثالهم سلمهم الله، فشكر الله سعيهم وهو خير الشاكرين. لكن جهادهم مع شعبة واحدة من مخالفين الإسلام، ثم ما كان بالآيات السماوية والبشارات الإلهية.

وكنت حريصاً على رؤية رَجُلٍ.. أي رَجُلٍ واحدٍ من أفراد الدهر قائمٍ في المضمار لتأييد الدين وإفحام المخاصمين. فرجعتُ إلى الوطن وأنا كالهائم الوكّهان أخطُ ورقَ نُهارِي بعصا تَسْياري، ومن المتعطشين الطالبين.

فبينما أنتظر النداء من الصادقين.. إذ جاءني بشارة من جناب السيد الأجلّ، والعالم الحبر الأبلّ، مجدّد المئة، ومهدي الزمان، ومسيح الدوران، مؤلّف "البراهين". فجئتُه لأنظر حقيقة الحال، ففترّستُ أنه هو الموعود الحَكَم العَدل، وأنه الذي انتدبه الله لتجديد الدين، فقال لَبَّيْكَ يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ. فسجدتُ لله شكراً على هذه المنّة العظيمة، لك الحمد والشكر والنعمة يا أرحم الراحمين.

ثم اخترتُ محبّته، واستحسنْتُ بيعته، حتى غمرتني رأفته، وغشيتني مودّته، وصرتُ في حبه من المشغوفين. فآثرته على طارفي وتالدي، بل على نفسي وأهلي ووالدي، وأعزّيتي الأقربين. أصبى قلبي علمه وعرفانه، فشكراً لمن أتاح لي لُقْيانه. ومن سعادة جدّي

أني آثرته على العالمين، فشمّرتُ في خدمته تشميرَ من لا يألو في ميدانٍ من الميادين، فالحمد لله الذي أحسن إليّ وهو خير المحسنين.

وعرفتُ من تفهيمِ أحمدَ أحمدًا
أنارَ عليّ فصرتُ منه مُسهدًا
وما إن رأينا مثله قاتلَ العدا
وكذبه من كان فظًا ومُلحدًا
يُكفّرُ من جاء النبيّ مُؤيدًا
ألا إن أهلَ الحق سمّوك مُفندًا
أخذتَ طريقًا قد دعاك إلى الردى
فُتحرّقَ في يوم النشور مُزودًا
لَعَمري هُديتُ وما أبيتَ تبدُّدا
وكان رضى الباري أتمَّ وأوكدا
إله البرايا قد دناه وأحدًا
فمثلك كُفْرًا ما رأينا ضفندًا
ودافى رؤوسَ الصائلين وأرجدًا
أتلعنُ مقبولًا يحبُّ محمدًا
هلكتم وأرداكم وعفى وأفسدًا
شريرٌ ويستقري الشرور تعمُدًا
وباعدَ من حق مبين وأبعدًا
نعمَ في طريق المفسدين تفرّدًا

فوالله مُذْ لاقيته زادني الهدى
وكم من عويصٍ مشكلٍ غيرِ واضحٍ
وما إن رأينا مثله بطلاً بدا
وأكفره قومٌ جهولٌ وظالمٌ
وهذا على الإسلام إحدى المصائبِ
أفي القومِ تُمدح يا مُكفّرَ صادقٍ
نبذتَ هدى العرفان جهلاً وبعده
وإن كنتَ تسعى اليوم في الأرض مفسدًا
ولو قبلَ إكفارٍ تفكّرتَ ساعةً
قصدتَ لترضى القومَ من سوء نية
وما في يديك لتُبعدنَ مقربًا
وقد كنتَ تقبلَ صدقه وكتبته
ألا إنه قد فاق صدقًا خواصكم
أتكفّرُ يا غولَ البراري مثيله
وتعسًا لكم يا زمرَ شيخٍ مزورٍ
له كُتُبُ السبِّ والشتمِ حشوها
أضلُّ كثيرًا من ضلالاتٍ وهمه
وما إن أرى فيه الفضيلةَ خاصةً

يُشيع رسالاتٍ لَبَّغِي ترائد
 وما كان لي بغضٌ به وعداوةٌ
 فخذُ يا إلهي رأسَ كلِّ معاند
 لتكون آياتٍ لكلِّ مكذِّب
 يا طالبَ العرفانِ خذْ ذيلَ نوره
 وفي الدين أسرارٌ وسبلٌ خفيّة
 وآخر دعوانا أن الحمد كله

وليجلبَ الحمقى إليها ويُرفدا
 وفي الله عاديناه إذ ذمَّ أحمدًا
 كأخذك من عادي وليًّا وشددا
 حريصٌ على سبِّ مُباه تحسُّدا
 ودع كلَّ ذي قول بقول المهتدي
 يلاحظها بصرٌ يلاقي إنمدا
 لرَبِّ رحيمٍ بعثَ فينا مجددًا

قد تمت هذه القصائد، وقد أحيينا أن نلحقها ببعض قصائد بليغة فصيحة، من كلام الأديب المفلق السيد محمد سعيد الشامي الطرابلسي - سلمه الله تعالى - قد نظمها ومدح بها سيدنا ومرشدنا المشار إليه فيها، وهجا الفرقة النصرانية ومن خالفه.

خَضَعْتُ لِرَفْعَةِ مَجْدِكَ الْعِظْمَاءُ	وَأَتَتْكَ تَسْحَبٌ ذَيْلَهَا الْعَلِيَاءُ
وَرَنْتُ إِلَيْكَ مَعَ الْوَقَارِ وَسَلَّمْتُ	وَتَفَاخَرْتُ بِمَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ
وَلَكَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَمَا عَلَي	مَنْ لَأَذَ فَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ عَنَاءُ
قَدْ حُزَّتْ فَضْلًا مِنْ إِيْلِكَ فَوْقَ مَا	قَدْ حَازَهُ مِنْ قَبْلِكَ الْآبَاءُ
وَحَوَيْتَ عِلْمًا لَيْسَ فِيهِ مِشَارِكُ	لَكَ فِي الْأَنَامِ وَلِلْإِلَهِ عَطَاءُ
يَا مَنْ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِبَابِهِ	أَغْنَاهُمْ عَمَّا إِلَيْهِ جَاءُوا
أَنْتَ الَّذِي وَعَدَ الرَّسُولُ وَحَبَّدَا	وَعَدُّ بِهِ قَدْ صَحَّتْ الْأَنْبِيَاءُ
أَنْتَ الَّذِي إِنْ حَلَّ جَدْبٌ فِي الْمَلَا	وَدَعَوْتَ رَبَّكَ حَلَّهُ الْإِرْوَاءُ
طُوبَى لِعَبْدٍ قَدْ رَضَا بِكَ مَلْجَأً	إِذَا لَا يَخِيبُ وَرَاحَتَاهُ مَلَأُ
طُوبَى لِقَوْمٍ أَنْتَ بِيضَةُ مُلْكِهِمْ	وَكَذَا الْعَصْرِ أَنْتَ فِيهِ ذُكَاؤُ
طُوبَى لِدَارٍ أَنْتَ فِيهَا قَاطِنُ	فَلَقَدْ بَدَتْ فِي سَوْحِهَا الزَّهْرَاءُ
يَا أَيُّهَا الْحَبِيرُ الْأَجَلُّ وَمَنْ بِهِ	يَرْجَى الْمِرَادَ وَتُكْشَفُ الضَّرَاءُ
إِنِّي لِأَرْغَبُ أَنْ أَرَى لَكَ سَيْدِي	وَجَهًّا عَلَيْهِ مِنَ الْجَمَالِ رِذَاءُ
يَا وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ	قَدْ حَقَّقْتُ بِوُجُودِكَ الْأَشْيَاءُ
وَبِكَ اسْتَقَامَتِ لِلْعَلَا أَرْكَائُهُ	وَتَرْتِينَتْ بِمَقَامِكَ الْجَوَازِءُ

وَأَبْنَتْ طَرَقًا طَمَّهَا الْجُهَلَاءُ
تَفَنَّى الدَّهْوَرُ وَمَا يَلِيهِ فَنَاءُ
فِي غِيَّهِمْ قَدْ مَسَّهِمْ إِقْوَاءُ
لَمَّا رَأَوْهُ أَكْبَهُمْ أَعْبَاءُ
مِنْ وَقَعِهِ فَكَأَنَّهُمْ أَهْبَاءُ
أَنْ الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْهُ لَوَاءُ
قَصَدُوا إِلَيْهِ فَصَدَّهُمْ إِعْيَاءُ
أَسَدًا هَصُورًا كَفَّهُ عَضْبَاءُ
بَلْ كَذَّبُوكَ فَخَابَتِ الْآرَاءُ
حَتَّى تَلِينَ وَتُنْبِتَ الصَّمَاءُ
وَتَنْزَلَتْ بِقُلُوبِهِمْ بَأْسَاءُ
بَلْ فِي السَّمَاءِ وَأَيْنَ مِنْهُ سَمَاءُ
وَالْمَوْتُ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ خَفَاءُ
فِيَمَا أَرَى وَالرَّبُّ مِنْهُ بَرَاءُ
ذَاقَ الْحَمَامَ فَهَكَذَا الْقَدَمَاءُ
سَهْلًا وَلَا حَمَلْتَهُمُ الْعَبْرَاءُ
مَرَّ الدَّهْوَرُ تَجُدُّهُمْ حَصْبَاءُ
فَاسْتَحْوَذَتْهَا أَكْلُبُ وَرُعَاءُ
إِنْ الْحَلَالَ طَرِيقَةَ شَنْعَاءُ
إِنْ الْحَرَامَ لَمَنْ يَرُمُهُ غَدَاءُ

أَيَّدَتْ دِينَ الْحَقِّ يَا عَلَمَ الْهُدَى
وَرَفَعَتْ لِلْإِسْلَامِ حَصْنًا بَادِحًا
وَنَكَاتَ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى أَصْبَحُوا
وَسَلَّتْ سَيْفًا لِلشَّرِيعَةِ بَيْنَهُمْ
مَا زَلَّتْ تَضْرِبُ فِيهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا
جَاؤُوا لِيَنْتَصِرُوا عَلَيْكَ وَمَا دَرَوْا
صَالُوا وَرَامُوا أَنْ يَفُوزُوا بِالَّذِي
وَتَفَرَّقَتْ أَحْزَابُهُمْ لَمَّا رَأَوْا
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ آمَنُوا إِذْ جُنَّتَهُمْ
هَيْهَاتَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى مَا أَمَلُوا
بئسَ الَّذِي قَصَدُوا إِلَيْهِ مِنَ الرَّدَى
ضَلُّوا وَقَالُوا إِنَّ عَيْسَى لَمْ يَمُتْ
قَدَمَاتِ عَيْسَى مِثْلَ مَوْتَةِ أُمِّهِ
مَنْ كَانَ يَنْكُرُ ذَا فُلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ
إِنْ كَانَ عَيْسَى يَأْتِيَنَّ بُعِيدًا مَا
لَا مَرْحَبًا بِهِمْ وَلَا أَهْلًا وَلَا
كَلَا وَلَا بَرِحَتْ صَبَاحًا مَعَ مَسَا
قَوْمَ كَأَنَّهُمُ الذِّيَابُ إِذَا عَوَتْ
لَا يَقْرَبُونَ مِنَ الْحَلَالِ وَعِنْدَهُمْ
وَالِى الْحَرَامِ شَوَاحِصٌ أَبْصَارُهُمْ

يا أيها البحر الذي ما مثله بحرٌ وما لجميله إحصاءُ
 بل أيها الغيث الذي أنوأه فعلتُ بما لا تفعل الأنواءُ
 حياكُ ربِّي كلما هبتُ صبا نَجِدُ وما قد غنتِ الورقاءُ
 أو ما ترنمَ في مديحك مُنشِدُ خضعتُ لرفعةِ مجدك العظماءُ

السيد محمد سعيد الشامي

وله رحمه الله تعالى

حمدٌ غزيرٌ صادقُ الإذعانِ لله ربُّ دائمِ الغفرانِ
 فردٌ كثيرٌ العفو والإحسانِ مُنشي الأنامِ ومُنزلِ الفرقانِ
 إذ قد أُبِرتْ دولةُ الصلبانِ من وَقَعِ شهمِ حاذقِ الطعانِ
 في الحربِ إذ يعدو بجدِّ سنانِ مُحَيِّ المنونِ وموقدِ النيرانِ
 كالليثِ صادفَ رَعلةَ الضبَّعانِ في يومِ مَحْمِصةٍ على أسوانِ
 أسدٌ هزيرٌ ثابتُ الجنانِ لم يكثرثُ بكثرةِ الفرسانِ
 بتلَّ الشكوكِ بقاطعِ البرهانِ ودلائلِ قرَّتْ بها العينانِ
 حبرٌ أمدَّ موائدِ العرفانِ وأسحَّ أبحرها على الظمانِ
 ردعِ الخصومِ بقدرةِ المنانِ يدعون ويلاً نُكَّسَ الأذقانِ
 يا أيها المولى العظيمُ الشأنِ هيهاتَ عيني أن ترى لك ثانِ
 إذ كنتَ علماً فخرَ كلِّ زمانِ ولقد تناقلَ فضلك الثقلانِ
 فانعمَ ودُمَّ بالعزِّ والأمانِ ما هزَّ ريحٌ مُيِّدَ الأغصانِ

وَلَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَتَدَحًا لَجَنَابِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ

ألا لا أرى مَنْ أَحَبَّ بَعِينِي
يا لقومي ويا لصَحْبِي الْحَقُونِي
مَنْ لِحَاظِ رَاشِقَاتِ بَقْلِي
وَحُدُودِ أَيْنَعِ الشَّقِيقِ عَلَيْهَا
ظَبِيَّةٍ مِّنْ قَادِيَانِ سَبْتَنِي
حَبْدًا قَدُّهَا إِذَا يَتَثْنِي
مَا الشَّمْسُ عِنْدِي وَلَا الْبَدْرُ فَاعْلَمْ
كَلَّا وَلَسْتُ فِي الْجَنَانِ بِرَاضٍ
وَلَقَدْ أَرَانِي بَعْدَ مَا كُنْتُ لَيْثًا
يَرْهَبُ الْأَحْمَسُ الْمُدَجَّجُ صَوْتِي
تَسْحَبُ النَّمْلَةُ، يَا فَدَيْتُكَ، جَسْمِي
غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ جُنْتُ غَرَامًا
فَعَسَى الْهُمَامُ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَطَايَا
خَيْرٌ عَبْدٌ يَرَاهُ أَشْرَفُ قَوْمٍ
إِنْ يَرَانِي وَيَكْشِفُ مَا بِي

وَعِدْوِي أَرَاهُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا
وَأَدْرِكُونِي فَقَدْ غَدَوْتُ قَتِيلًا
أَسْهُمًا عَنْهُ لَا تَرَى تَحْوِيلًا
وَرُضَابِ مَزَاجِهِ زَنْجِييَلًا
إِذْ رَنْتَ رَنْوَةً وَطَرْفًا كَحِيَلًا
كَتَشَّتِي الْغُصُونِ ذُلَّتْ تَذْلِيلًا
فِي حُلَاهَا أَرَى لَهَا تَمَثِيلًا
بِسَوَاهَا إِنْ أَرَاهَا بَدِيلًا
مُصْمَمًا عَمَثَهَلًا خَنْشَلِيلًا
وَبَعِينِي يَرَى الْعَزِيزَ ذَلِيلًا
وَابْنُ آوِي يَدْعُو عَلِيَّ الْعَوِيلًا
فِي هَوَاهَا لِأَصْبِرَنَّ جَمِيلًا
قَدْ تَخَطَّتْ تَلَانِعًا وَسَهُولًا
مَنْ لِعَيْسَى الْمَسِيحِ أَضْحَى مَثِيلًا
عَنْ قَرِيبٍ قَبْلَ أَنْتَوِي الرَّحِيلًا

وقال - رحمه الله تعالى - مقرّظاً على هذا الكتاب المبارك
ومادحاً للجناب الأقدس نفع الله به المسلمين

وحوى من النظم البديع طروسا	كتابٌ حكى زَهْرَ الربيع نضارةً
عن أن يكون له الحبيب جليسا	يُغني الأديبَ فكاهاةً ومسرّةً
تَدَعُ الليالَ إذا دَجِينَ شُموسا	قد صاغه الحَبْرُ الذي أنوارهُ
كالشام حيث أقام فيها عيسى	لله دَرُّ القاديانِ فإنها
وتقدست أرجاؤها تقديسا	بلدٌ بها غيثُ المواهبِ قد هَمَى
جبالاً حباه رَبُّه الناموسا	فكأنما هي إيلياءُ إذ حوتُ
فُوهُ الزمان ولا يرى تدليسا	قَرَمٌ تقاصرَ عن ثناء خصاله
شَهْمٌ علا رُتَبَ الكمالِ عروسا	بحرٌ تلاطمَ بالمعارفِ موجهُ

وقال مقرّظاً عليه أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيد المرسلين.

أما بعد.. فإني قد سرّحتُ طرفي في مضمار حَلَبَةِ البيان،
وأجلتُ قِداحَ فكري في حديقة بستان الأذهان، أعني العُجالة التي
ابتكرها نتيجة أفكار الزمان، ومحطُّ رجال العرفان، نابغة دهره،
وسحبان قطره، سيّدنا ومرشدنا مسيح الزمان، مركز العز والأمان،
الشيخُ العالم العلامة، الحَبْرُ الفاضل الجِهْدِ الفهّامة، سَمِيٌّ مَنْ أَنْزَلَ

عليه الفرقان، سيّد وُلدِ عدنان، عليه الصلاة والسلام، أحمد الفِعال
والخِصال، أدام الله عليه سوابغ الإجلال ومنابع الأفضال، ولا زال
مرفوع الجناح مقبّل الأعتاب، فوجدتها القَدْح المعلى، والدُرّة
اليتيمة، والروضة الأريضة، والحديقة المثمرة، وكيف لا ومُوجدِها
حَبْرٌ يشار إليه بالأنامل، وبجرٌ ليس له من ساحل، فكأنما قد عنيته
بقولي إذ كان به أحرى، وبسرّه أدرى.

هيّاتَ يوجد في الزمان نظيره ولقد حلفتُ بأنه لا يوجدُ
بالله ربّ الراقصات إلى منى والقائمين ظلامهم يتهددوا

فلله دَرُه، ولا فضَّ فُوه، ولا عدمه بنوه، إذ قد أحسنَ وأجادَ،
وبالغَ فيما به أفاد.

تَمَّتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أطلعَ شمسَ الهداية في قلوب أهل العرفان، وأطعمَ نفوس أهل الغواية في ورود منهل الغفران، وأنبعَ ينابيع المكارم ليردَ على زلالها كلُّ ظمآن، ورفعَ منابر التقديس والتحميد، وخفضَ أعلام البهتان. والصلاة والسلام على سيد وُلدِ عدنان، سيدنا ونبينا محمد الذي أتى بالبيان، وعلى آله وأصحابه وأزواجه في كل وقت وأوان.

أما بعد.. فيقول أسيرُ ذنبه، وفقير عفو ربه المنان، محمد الطرابلسي الشامي الشهير بحميدان، إنني لما دخلتُ الهند وبلدة قاديان، واجتمعتُ بحبرها بل وحبر جميع البلدان، مولانا وسيدنا الشيخ ميرزا غلام أحمد صاحب الوقت ومسيح الزمان، واطلعتُ على هذا الكتاب.. فإذا كتاب إذا ما لُحِثَ استملحتُه، وإني أراه قد انتضى الحجج، لإزعاج المخالفين وإفحام المخاصمين ذوي العوج، أعطى كل ذي سهم سهمه، وما أخطأ سهمه. يدعو الضالين إلى الصلاح، وما يدع نُكْتَةً من لوازم الفلاح، وجب على المسلمين إطاعة أمره، وقد أشربَ قلبي أنه من الصادقين، والله حسيب، وهو يعلم سر الناس وجهرهم، ويعلم ما في السماوات والأرضين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رؤيا غريبة

اعلموا أني قمتُ في عجز الليل على العادة لصلاة الفجر، ثم بعد أدائها غلبتني عيني بالنوم، فرأيتُ كأن مرشدنا - رحمه الله تعالى - قد صنع طعاماً كثيراً فاخراً، ودعا إليه جمماً غفيراً من الخلق، من بلاد مختلفة عرباً وعجماً، ثم بسط سُفراً وموائد عديدة، وجلس عليها أولئك القوم.. عشرة عشرة.. وأنا معهم في أخرهم، فأكلوا وقاموا وبقيتُ منفرداً. فداخلني الخجلُ وقمتُ غيرَ شبعٍ. فنظرتُ عن يميني مكاناً مملوءاً من المرق، فصرتُ أُغَبُّ منه حتى اكتفيت. ثم انتهيت وانتهى الناس إلى مكان المذكور، وقد فرش بأنواع الفرش النفيسة، فجلسوا بحسب مراتبهم، وفيهم العلماء والأمرء وغيرهم. فقام رجل منهم يعظ الناس على طريقة الفقهاء الحنفية، وكأنه نسب قولاً إلى الأولياء.. فقال أحد أهل المحفل: "لَعَنَ اللهُ آباءَ الأولياءِ إن كانوا يقولون بهذا". فقلت: لا.. بل أباك، لم تكذب أولياء الله. وجرى ذكرُ الإمام الجوهري فسبَّه رجلٌ منهم، فغضبتُ عليه وقلت: أتشتم إمام الدنيا في اللغات العربية ولا تخاف من الله تعالى؟" ورأيتُ كأن المذكورَ - أيده الله تعالى - قد أخذ بيدي، وسلك بي منفرداً طريقاً مستقيماً محفوفاً بالأزهار والأشجار، وقال لي: إني قد أردتُ الإقامة إما في الشام أو في أمرتسر، فما رأيك في هذا؟ فقلت له: إن رأيي أن تقيم في الشام، فإنها أرض الله ومَعْقِلُ المسلمين، وبها تتأهل وتبني

لك بيتاً، وتتخذ بستاناً وأرضاً، وإن أقمتَ معي في مكاني حيث ذكرتُ لك فإنه أحسن، وأتكفلُ لك بجميع ذلك. فقال لي: إن شاء الله أفعل ما أشرتَ به. ورأيت كأن قد جيء برجلٍ مديد القامة، أصهَبَ الوجه واللحية، في ثياب رثة وهيئة قبيحة كأنه يراد قتله. ثم هببتُ من رقدتي متعجبا من ذلك، وأظنه خيرا وإقبالا للمذكور وأمناً له من نوائب الزمان. هذا ما رأيته وعبرته، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

السيد محمد سعيد الشامي